جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: التاريخ

المرحلة الدراسية: الثالثة

المادة: تاريخ العراق الحديث

تاريخ العراق الحديث1258-1914

The History of Modern Iraq 1258-1914

استاذ المادة

أ.د. فهمي احمد فرحان

محاضرات مادة : تاريخ العرق الحديث

مفردات منهج تاريخ العراق الحديث 1258- 1914

Article name: The History of Modern Iraq 1258-1914

الفصل الدراسي الاول

يمثل تاريخ العراق جانبا مهما من جوانب تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر والعراق جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والارض العربية ، وقد مر العراق خلال تاريخه الحديث بظروف احتلال وسيطرات وغزوات اجنبية متعددة منذ سقوط الخلافة العباسية بغداد سنة 1258 م وحتى قيام الحرب العالمية الاولى 1914 وهو ما يسمى بتاريخ العراق الحديث ، لذلك شهدت الساحة العراقية الحديثة تطورات واحداث هامة من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية سوف يتم التركيز عليها من خلال المفردات المقررة:

1-سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية 1258 م (حملة هولاكو ، نتائج سقوط بغداد) .

2-الدولة الالخانية 1265 -1335 والاوضاع العامة في العراق في عهد الالخانيين .

3-المقاومة الشعبية والعشائرية ضد الالخائيين .

4-قيام الدولة الجلائرية في العراق1335 -1411(الحكم الجلائري) .

5-حملات تيمورلنك العسكرية في العراق 1393 -1401 .

6-حكم اسرتي القره قوينلو (الخروف الاسود) والاق قوينلو (الخروف الابيض) للفترة 1411- 1508 م.

7-نشأة الدولة العثمانية والدولة الصفوية والتوجه نحو العراق والوطن العربي (العوامل والدوافع)

8-الصراع الصفوي – العثماني في العراق للفترة 1508 – 1534 م

9-البصرة قاعدة بحرية للصراع العثماني – البرتغالي 1529 -1592

10 – الصراع الصفوي- العثماني في العراق 1534 – 1623 م

11 – سليمان القانوني وطرد الصفويين من العراق1534 -1566 م

12- معاهدة اماسيا 1555 ، معاهدة اسطنبول الاولى1590 ، اسطنبول الثانية1612 ، معاهدة سراب 1618 ، ثورات العشائر ، تمرد بكر صوباشي 1623 .

13- معاهدة زهاب 1639 ورسم الحدود العراقية بين الدولة العثمانية والصفوية .

مفردات الفصل الثاني :

1-اسرة افراسياب في البصرة 1647 -1667

2-الاوضاع العامة في العراق 1667- 1740

3-حملة نادر شاه العسكرية على العراق 1743

4-حكم الجليليون في الموصل 1720 -1833

5-المماليك في العراق 1750 -1831

6-المصالح الاوربية في العراق

7-النشاط الهولندي

8-شركة الهند الشرقية وتغلغل النفوذ البريطاني في العراق

9- معاهدة ارضروم الاولى 1823 ، معاهدة ارضروم الثانية 1847 والعلاقات الصفوية العثمانية

10 – التنافس الاوربي في العراق

11 – العراق في نهاية العهد العثماني

12 – الاصلاحات العثمانية في العراق (مدحت باشا انموذجا)

13 – الحركة الفكرية في العراق اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين .

المصادر:

1–ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث 1258 –1914 ، ط1 ، بغداد ، 2014 .

2–عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث .

3–علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث .

المحاضرة الاولى

سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية 1258م (حملة هولاكو ، نتائج سقوط بغداد)

مرت الساحة العراقية خلال تاريخها الحديث بسلسلة من الاحداث والتطورات الداخلية والخارجية تمثلت بظروف احتلال وغزوات متعددة منذ ان كانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية (132–656 هـ) وحتى سقوطها على اثر حملة هولاكو سنة 1258 .

وبعدها خضع العراق كغيره من اقطار الوطن العربي الى حكم الدولة العثمانية لمدة اربعة قرون من الزمن ، منذ انتصار العثمانيين على الصفويين في معركة جالديران سنة 1514 وحتى قيام الحرب العالمية الاولى 1914 .

ورث العباسيون حكم الدولة العربية الاسلامية من الامويين سنة 132 هـ / 750 م وكان جميع الخلفاء العباسيون من بني العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله

عليه وسلم ، وقد تناوب على حكم الدولة العباسية 37 خليفة اولهم ابو العباس السفاح واخرهم المستعصم بالله الذي انتهت على يده الخلافة العباسية سنة 1258 ليكون عمر الخلافة العباسية 524 سنة .

كان المغول يهددون امن وحدود الدولة الاسلامية قبل حملة هولاكو على بغداد ، وقد تركزت حملاتهم الاولى على المناطق الشمالية من العراق ، فكانت اولى تلك الحملات سنة 1219 التي تصدت لها القوات الثانية العباسية فاضطرت للانسحاب ثم باءت بالفشل ، وكذلك الحملة الثانية في سنة 1220 على الموصل و اربيل ، وفي سنة 1230 –1231 وجهت حملات عسكرية مغولية باتجاه اربيل والموصل وداقوق ، تصدت لها قوات الخليفة العباسي المستنصر بالله ، وهكذا توسع نطاق الحملات المغولية على الاراضي العراقية الاخرى في بغداد وسامراء وخانقين .

توفي الخليفة المستنصر بالله سنة 1242 وتولى من بعده المستعصم بالله ، وفي سنة 1245 وصلت الاخبار بتحرك حملة عسكرية من همدان باتجاه بغداد مؤلفة من 16 الف مقاتل ، تصدت لها القوات العباسية في بعقوبة واجبرتها على التراجع ، وفي سنة 1252 هاجمت القوات المغولية الاراضي العراقية مرى اخرى وقتلت كما ذكرت المصادر التاريخية ما يقارب 10 الاف نسمة .

وامام هذه الاخطار الخارجية الكبيرة فقد انقسمت المؤسسة العسكرية العباسية الى اتجاهين متعارضين الاول : تزعمه الوزير مؤيد الدولة (ابن العلقمي) ونائبه الطوسي اللذان عرفا بخيانتهما للخلافة العباسية ومهادنة المغول ، اما الاتجاه الثاني : تزعمه سليمان شاه الذي اكد على ضرورة تقوية الجيش والارتقاء بتنظيماته وبهذا الانقسام الخطير واجهت الخلافة العباسية الخطر المغولي .

ادرك المغول اثناء توجههم الى بغداد ان المؤسسة العسكرية والخلافة العباسية اصبحت بمفردها تماما وان الصراعات الداخلية قد دبت في جسم الدولة ومن ثم الاهم من ذلك هو وجود العملاء والجواسيس الذي ادوا دورا كبيرا في اسقاط الخلافة العباسية واستمالة بعض الحكام المسلمين ، فكان في بغداد الوزير ابن العلقمي الذي ذكر عنه المؤرخون انه كان يكتب للمغول رسائل سرية ويحثهم على الدخول والغزو العسكري والاستلاء على بغداد وقتل الخليفة العباسي ، علما ان ابن العلقمي كان الرجل الاول في الدولة بعد الخليفة (اختلفت المصادر التاريخية في قضية خيانة ابن العلقمي ، لكن اغلب الروايات التاريخية ذكرت الخيانة التي قام بها ، غير انه لم يكن المسؤول الوحيد عن سقوط الخلافة العباسية او لم يكن الخائن الوحيد بل كان نائبه الطوسي ثم بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الذي تعاون واشترك مع القوات المغولية في الهجوم على بغداد) .

هناك عوامل اخرى وعديدة ساعدت على سقوط بغداد سنة 1258 :

1-ضعف الخلفاء العباسيين وسوء الادارة وتنافس كبار رجال الدولة على السلطة اي الانقسامات الداخلية التي اضعفت هيبة الخلافة .

2-عدم اهتمام الخلافة العباسية ولاسيما الخليفة المستعصم بالمؤسسة العسكرية وعدم الانفاق على تقوية الجيش .

3-سوء الاوضاع الاقتصادية والمالية وكساد الحياة الزراعية وظهور الفوارق الطبقية بين افراد المجتمع في نهاية الحكم العباسي ، فضلا عن الكوارث الطبيعية كالفيضانات والآفات الزراعية .

4-الحروب الطويلة والمتواصلة التي خاضتها الدولة العباسية واستنزاف طاقاتها العسكرية وموارد الدولة مما سهل على اعدائها شن الهجمات عليها .

ارسل هولاكو في سنة 1257م رسالة تهديد الى الخليفة العباسي المستعصم طلب فيها رفع التحصينات والاسوار عن مدينة بغداد ، وكذلك طلب حضور الخليفة بنفسه الى هولاكو ، غير ان الخليفة العباسي رفض ذلك ولم يستجب فرد عليه بقوة مما ادى ذلك الى تأزم وتوتر العلاقة بين الطرفين .

بعدها استعد هولاكو للهجوم على بغداد فوضع خطة عسكرية تضمنت محاصرة و مهاجمة بغداد من عدة جهات ، وكان عدد قواته ما يقارب 170 الف مقاتل حسب ما ذكرت المصادر ، وهناك عدة روايات تاريخية عن تاريخ دخول قوات هولاكو الى بغداد ، لكن اغلبها اشارت الى ان 14 شباط 1258م الموافق 4 / صفر / 656 هـ هو التاريخ الفعلي لدخول القوات المغولية .

التقت القوات المغولية بقوات الخلافة العباسية في معركة الدجيل ونتيجة لعدم التكافؤ هزمت قوات الخليفة ، بعدها سيطر المغول على سدود الانهار فاغرقوا المناطق المحيطة ببغداد وقتل عدد كبير من الجيش العباسي وهرب الباقين الى بغداد ، اما القوات المغولية فقد سارت باتجاه بغداد وفرضت حصارا شديدا على المدينة ، ونزل هولاكو بنفسه الى بغداد وحاول الخليفة المستعصم ارضاءه عن طريق تلبية طلباته السابقة ، لكن هولاكو رفض واصر على اقتحام المدينة واقام حولها الاسوار والمناجيق وحوصرت بغداد من جميع جوانبها فوجد الخليفة نفسه محاصرا في الداخل فلم يجد حلا سوى الاستسلام فخرج في 10 شباط 1258 م ومعه ثلاثة الاف من اتباعه والائمة والقضاة للقاء هولاكو لكن ذلك لم ينقذ المدينة من الاقتحام العسكري والدمار والتخريب ، بعدها دخل هولاكو بغداد بتاريخ 14 شباط 1258 بدون اي مقاومة وقتل عدد كبير من اهلها ، واشعلت النيران في بغداد وفي جامع الخليفة ، وقتل الخليفة المستعصم ومع اثنين من اولاده ، وبقي هولاكو وجنوده يمارسون القتل في المدينة والتخريب لمدة اربعين يوم ولم ينجو الا من

كان مختبئا في الانهار والقنوات والشقوق والمقابر ، ويذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) ان عدد القتلى في العراق بلغ (الف الف وثمانمائة الف) اي مليون وثمانمائة الف قتيل .

لم يكتف المغول بالمجازر الوحشية التي ارتكبوها في بغداد بل دمروا واحرقوا مكتباتها ومساجدها وقصورها ، والقيت الكتب في نهر دجلة ، وقتل العلماء والادباء والمفكرين ، انتشرت الامراض والاوبئة التي فتكت بالناس ، وعمت المجاعة والفقر ، والتخلف والفوضى ، فتحولت بغداد العاصمة الى دار للخراب والفوضى .

بعدها جمع هولاكو اتباعه من الامراء والجنود واحتفل بهم في قصر الخليفة وبذلك بدأ حكم دولته التي سميت بالدولة الالخانية نسبة الى الالخان زعيمهم ومن بعده ابنه اباقا .

نتائج سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية :

1-قتل الخليفة العباسي المستعصم وابناءه وحاشيته وعدد كبير من العلماء والائمة والمفكرين والاباء .

2-كان سقوط الخلافة العباسية بمثابة ضربة قوية للعالم الاسلامي بأسره ، فسارع حكامه الضعفاء الى هولاكو يقدمون له فروض الطاعة والولاء والتهنئة خوفا من بطشه ، لذلك استسلم حكام الاقاليم والممالك لهولاكو .

3-كان العرب والمسلمون ينظرون الى الخلافة العباسية على انها رمز للمالك الاسلامية جميعها وكانوا ينظرون الى الخليفة نظرة اجلال واحترام فكان لمقتله ولسقوط الخلافة الاثر العميق في نفوس المسلمين .

4-بعد ان كانت بغداد تتمتع بمكانة دينية مرموقة وهي مركز النشاط العلمي والسياسي في جميع انحاء الشرق الاسلامي، يقصدها وفود الحكام والامراء المسلمين فلما

سقطت في ايدي المغول تراجعت الى مدينة ثانوية وبذلك فقدت بغداد اهميتها السياسية والدينية ، وباحتلال بغداد دخل الشرق الاسلامي عهدا جديدا آلت السيطرة فيه الى هولاكو ثم ابناءه فأسسوا لهم دولة عرفت بالدولة الالخانية .

5-كانت بغداد مركزا للعلوم والآداب والفنون ، يقصدها طلبة العلم والعلماء ، فلما حلت النكبة ببغداد ، قتل العلماء والشعراء والادباء وهرب عدد منهم الى مصر والشام ، احرقت المكتبات ، وهدمت المساجد والمدارس ، وانتشرت الامراض والاوبئة والمجاعة وتحولت بغداد الى دار للخراب والفوضى .

المحاضرة الثانية :

الحكم الالخاني في العراق ١٢٦٥_ ١٣٣٥ وأوضاع العراق العامة :

6- المقصود بالالخان هو سيد القبيلة او السلطان او الملك الكبير ، والاسرة الالخانية هي احدى القبائل المغولية التي دخلت الى العراق مع هولاكو والمغول هم من اصول تركية كانوا يسكنون اواسط اسيا وشرق اسيا (الصين ومنغوليا) .

7-

8- ترك هولاكو بعد وفاته دولة مترامية الأطراف تشمل ممتلكاتها أقاليم ايران والعراق وجزء من الاناضول ، وقد عرف اولاد هولاكو وأحفاده بالالخانيين أي نائب الملك (الخان الاكبر) أي تابعه .

9- تولى عرش الدولة الالخانية بعد هولاكو ابنه الاكبر اباقا **(١٢٦٥_ ١٢٨٢)**، وقد اختاره بإجماع مجلس امراء الالخان والسبب في ذلك هو إخلاص اباقا لسياسة والده فقد ابقى هذا الالخان على معظم رجال الإدارة السابقة فاحتفظ بشمس الدين

الجويني في ديوان الممالك وعلاء الدين الجويني على ولاية العراق ، محور سياسة اباقا وسياسة خلفائه هو منع اي تغلغل عسكري الى ايران من الجانب الشرقي لأسيا أو من مناطق القفقاس لذلك فقد شهد عهد اباقا منذ اعتلاءه العرش صراعاً مع مملكة القبجاق الإسلامية التي انتهت بانتصاره، كما اكمل اباقا تصفية القلاع الإسماعيلية الممتنعة عليهم حتى ذلك الوقت ، بالحقيقة ان حكم كل من هولاكو وابنه اباقا تمثل حقبتين مهمتين في التاريخ الآسيوي للإنجازات العسكرية والسياسية التي تحققت.

10- تولى العرش بعد اباقا اخيه تكودار (احمد) (**١٢٨٢_ ١٢٨٤**) ، وقد اعتنق الاخير الدين الإسلامي متخذاً اسماً جديداً له السلطان احمد ، وقد قضى تكودار معظم سنوات حكمه البالغة عامين في نزاع مع ارغون بن اباقا الذي تمكن من الاستيلاء على الحكم في اعقاب قتله تكودار، وكان ذلك بسبب سياسة الاخير الدينية المتعصبة للإسلام والتي أثارت حفيظة زعماء المغول وامراءهم سياسياً ودينياً.

11- تولى ارغون بن اباقا العرش بين (**١٢٨٤_ ١٢٩١**) وقد برز في عهده طبيب يهودي متنفذ هو (سعد الدولة اليهودي) الذي وضع سياسة مالية جديدة للدولة، وقد اخذت الإدارة الالخانية في عهد ارغون تشجيع استخدام المسيحيين واليهود في المناصب الإدارية والدبلوماسية، وقد تولى العرش من بعده كيخاتو (**١٢٩١_ ١٢٩٥**) وابرز الاحداث في عهده تبديل العملة المعدنية الى العملة الورقية حسب النموذج الصيني المتبع هناك ، وانتهى عهد كيخاتو بانقلاب ناجح نفذو (بايدو) الا ان الاخير اطيح به من قبل غازان (**١٢٩٥_ ١٣٠٤**) لقد جاء غازن الى الحكم بعد كارثة اقتصادية المت بالدولة الالخانية نتيجة تطبيق نظام الصيني فاشل للعملة الورقية، لذا قرر هذا الالخان عند اعتلائه العرش مواجهة الوضع المتردي بوضع اسس جديدة للاقتصاد الالخاني ، لذا يعد عصره عصر الاصلاح في الدولة

الالخانية، وقد ساعد غازان في اصلاحاته وزيره الشهير (رشيد الدين فضل الله) وابرز اصلاحات غازان إعلان الإسلام الدين الرسمي للدولة وتسمى باسم السلطان محمود ثم عمل على اعادة الامن والنظام للدولة، فضبط العصابات والقوى الخارجة عن النظام، كما حد من نفوذ رجال الدولة، مما ادى الى تحقيق حالة جيدة من الاستقرار ، وبعد وفاة محمود غازان تولى العرش اخوه اولجايتو(١٣٠٤_ ١٣١٦) الذي اتسم عهده بالاستقرار النسبي نوعا ما، كان اخر الالخانات المغول هو ابو سعيد بهادر خان(١٣١٦_ ١٣٣٥) وهو ابن اولجايتو، ولعل ابرز أحداث عصره هي اعدام رشيد الدين فضل الله وقد ساءت أوضاع الدولة الالخانية بسبب الدسائس الكثيرة التي قام بها رجال البلاط والحريم وتدخلهم في شؤون الحكم ، فضلا عن ذلك النزاع بين المغول والاتراك من جهة والإيرانيين من جهة أخرى قد ادى الى فقدان الالخان لسيطرته على الأقاليم والمدن التابع لإدارته فأخذت المقاطعات تميل الى العصيان على السلطة المركزية والانفصال عنها ، وكانت وفاة ابو سعيد ايذاناً بانهيار الحكم الالخاني .

12-

13- مميزات ومظاهر الإدارة الالخانية في العراق :

14- ١_ كانت ادارة الإمبراطورية الالخانية لا مركزية ويتمتع حاكم العراق بدرجة من الاستقلال في ادارة شؤونه مقابل تقديمه المال اللازم لخزينة الإمبراطور وارسال القوات العسكرية المناسبة له في حالة الحرب وهذا ما ساعد على الفوضى وعدم الاستقرار السياسي .

15-٢_ لقد تحول العراق بعد ان احتله المغول إلى جزء من الإمبراطورية الالخانية التي اتخذت تبريز عاصمة لها ثم تحولت إلى السلطانية في أذربيجان وبذلك فقدت بغداد مركزها المتميز في العالم الإسلامي وحل الدمار والخراب محل الازدهار والعمران وقد بادرت الدولة الالخانية الى تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام هي :

اولاً _ إقليم الجبال وفيه " شهرزور _ إقليم الجزيرة الفراتية – ماردين – الموصل – سنجار – أربيل " .

ثانياً _ إقليم العراق وعاصمته بغداد وهو القسم الاهم ويمتد ما بين الزاب الى عبادان طولاً وبين القادسية وحلوان عرضاً .

ثالثا _ اقليم اعمال وقسمة الى ست مناطق رئيسة هما بغداد و الأعمال الشرقية والفراتية و الحلية والكوفية والواسطية والفراتية ثم أضيفت إليها بعد سقوط امارة الموصل ١٢٦٠ الموصل واربيل وأصبح على رأس كل منهما مسؤول يطلق عليه لقب صدر .

16-٣ ثالثا_ أن ادارة الالخانيين للعراق في كثير من مظاهرها استمرار للإدارة العباسية في عهودها المتأخرة حيث ابقى هولاكو على الوضع الاداري كما كان عليه وحافظ الى حد ما على التقسيمات الادارية القديمة ، ومن مظاهر الإدارة الغاء الدواوين المركزية وابقى على (الديوان الزمام) و (ديوان الوزير) ولكن سرعان ما إدماجا بديوان واحد أطلق عليه اسم الديوان يرأسه (صاحب الديوان) الذي اصبح يحتل مكانة عليا في الإدارة المدنية، حيث يشرف على شؤون البلاد المالية ويتمتع بسلطة تعيين كبار الموظفين كقاضي القضاة والصدور والنظار ويرتبط بصاحب الديوان كاتب السلة يترأس كتاب العراق ، ومن الوظائف المدنية المهمة الأخرى

التي استمرت في العهد الالخاني خازن الديوان و الناظر و المشرف وصدر و(مشرف المماليك) هو المشرف العام للدولة الالخانية جعل مشرف بغداد مسؤولا لديه.

رابعا_ ومن المناصب المهمة التي هي استمرار لما كانت عليه في العصر العباسي منصب قاضي القضاة ويتم تعينه من قبل السلطان نفسه وايضا من وظائف أخرى (الشحنكية) ، ومن الوظائف العسكرية المهمة نائب الشرطة وهو مسؤول عن المحافظة على شؤون الأمن في بغداد و المدن الأخرى.

خامسا_ ومن مظاهر الإدارة الأخرى للحكم الالخاني هو التدهور والاهمال في الأوضاع العامة للعراق ولاسيما بغداد في اعقاب الاحتلال المغولي ولا سيما في جوانب الزراعة ونظام الري ومن نتائج هذا الاهمال أن الفيضانات سببت دماراً كبيراً ولعل من أشهرها غرق بغداد في السنوات ١٢٧٧و ١٢٨٤ و ١٣٢٥وغرق الحلة والكوفة في ١٢٨٦ ، وكذلك انتشار الأوبئة وموجات الجراد والبرد التي كانت تتلف المحاصيل الزراعية ، كما زاد تدهور اوضاع التجارة في العراق مع زيادة الكبيرة في ثقل الضرائب المفروضة على السكان مما ادى الى اضطراب الحياة الاجتماعية في بغداد ، إذ اصبح عامة الشعب يعانون من أسوء حالات الفقر والجزع والنقص في الاموال ويعود الى الدمار الذي أصاب المدينة فضلا عن الضرائب الباهظة المفروضة من السلطة المحتلة وسوء الإدارة وفسادها ، فضلا عن ذلك انعدام الأمن وانتشار العصابات والمجرمين وقطاع الطرق و وغارات البدو على المدن الآمنة .

سادسا : لقد كان لاحتلال المغول للعراق اثر سلبي على الحركة الثقافية والعلمية لما شهده هجوم المغول على بغداد من حرق وتدمير للمدارس والمكتبات ودور العلم وقتل عدد كبير من العلماء والادباء ، نتيجة لذلك شهدت بغداد والمدن العراقية الأخرى حركة مقاومة مسلحة ضد الاحتلال المغولي ولاسيما دور القبائل العربية الاصيلة .

ســـابعا: واخيــرا استمر حكـم الدولـة الالخانيـة فـي العـراق مـا يقـارب 70 سـنة للمـدة 1265 –1335 وقـد انتهـى حكمهـم بعـد ان عمـت النزاعـات الداخليـة ثـم وفـاة زعـيمهم ابـو سـعيد وانـدلاع الحـرب الاهليـة وهـذا مـا فسـح المجـال لوصـول الاسرة الجلائرية الى الحكم في العراق للفترة 1337– 1411 .

المحاضرة الثالثة :

المقاومة الشعبية للاحتلال المغولي – دور المدن والقبائل العراقية

بـالرغم مـن شراسـة القـوات المغوليـة الموجـودة فـي العـراق وامتلاكهـا الامكانيـات العسـكرية واسـتخدامها الاسـاليب الوحشـية فـي التعامـل مـع السـكان لكـن العـراقيين لـم يبقـو مكتـوفي الايـدي تجـاه هـذا الاحـتلال ، فقـد شـهدت المـدن العراقيـة (الحلـة وواسـط والموصـل واربيـل) مقاومـة عسـكرية للقـوات المغوليـة ، كمـا قـدمت القبائـل العراقيـة دورا بـارزا فـي تلـك المقاومـة بـالرغم مـن عـدم التكـافؤ مـن حيـث التسـليح والتخطيط .

ارسـلت القبائـل العراقيـة الكثيـر مـن ابناءهـا للتطـوع فـي الجـيش العباسـي فقاتلـت واستبسـلت وقـدمت الكثيـر مـن الضـحايا البشـرية وهـذا مـا جـرى فـي معركـة عـين جالوت سنة 1260 م ضد المغول .

من اهم المدن العراقية التي قاومت الاحتلال المغولي:

1–واسـط مـن اهـم المـدن العراقيـة التـي قاومـت الاحـتلال المغـولي واستبسـلت في الدفاع وقدمت الاف القتلى كما ذكرت المصادر التاريخية .

2–كـذلك تعرضـت اربيـل الـى هجـوم وحصـار شـديد مـن قبـل القـوات المغوليـة لكـن صـمود وبسـالة اهلهـا منـع القـوات المغوليـة مـن دخولهـا لـذلك عنـدما

عجز القائد المغولي عن اقتحامها فقد اتفق مع حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ الذي هدم اسوارها واقتحمها واستولى عليها .

3- اما الموصل فهي كذلك استبسل اهلها في الدفاع بالرغم من كثرة المحاولات المغولية لاحتلالها ولاسيما بعد موت بدر الدين لؤلؤ ومجيء ابنه اسماعيل الذي عرف بوطنيته واعلان الثورة على المغول على عكس ابيه ، لكن لعدم التكافؤ بين الطرفين والحصار الشديد الذي فرض على المدينة تمكنت القوات المغولية من اقتحام الموصل وقتل الملك اسماعيل سنة 1261 .

4- كذلك من المدن العراقية الثائرة الحلة والكوت والبصرة .

اما اهم القبائل التي قاومت الاحتلال المغولي فهي :

1- آل فضل (الطائية) وآل ربيعة وتمتد هذه القبائل من البصرة الى غرب العراق مسيطرة على نهر الفرات .

2-قبيلة خفاجة في الكوفة والمناطق الجنوبية التي امتازت بقوتها .

3-قبيلة بني اسد في الحلة وجنوبي واسط ، ثم قبائل شمر وعنزة وبني تميم .

4-كذلك قامت قبائل الكبيسات والقبائل الساكنة في عين التمر بشن الهجمات على مقرات القوات المغولية .

اما بالنسبة للأساليب والطرق التي اتبعتها القبائل في المقاومة فهي :

1-السيطرة على طرق النقل والانهار وطرق الحج التي تربط بين العراق والشام والحجاز.

2-حرب الكر والفر والاغارة ليلاً على مقرات تواجد القوات المغولية .

لكن الطابع العام لهذه القبائل لم تكن بالمستوى العالي من الخبرة والضبط العسكري وكذلك قلة التسليح هذا فضلا عن وجود المشاكل الداخلية والصراعات الاسرية مما اضعف تلك القبائل .

المحاضرة الرابعة :

قيام الدولة الجلائرية ١٣٣٥_ ١٤١١(الحكم الجلائري للعراق)

اختلفت المصادر التاريخية حول اصل الجلائريين لكن الراجح من الروايات التاريخية هم اقوام من اصول تركية ، وعرف الجلائريون نسبة الى جلائر احدى القبائل الكبيرة التي تسكن شرق منغوليا عند نهر اونن ، وتتكون من شعوب عديدة يرأس كل منها زعيم .

توسعت هذه القبيلة شيئاً فشيئاً عندما اتصلت بقبيلة جنكيز خان ونشأت بينهم روابط صداقة وتحالف ، واستطاع بعض أفرادها أمثال (موقلي كويانك) الحصول على مناصب مهمة ، اذ أثبت الأمراء الجلائريون كفاءة عسكرية وادارية جعلت بعضهم يحتلون مراكز مهمةً في الجيش المغولي ، وابرز هؤلاء (ايلكا نويان) الجد الأكبر للجلائريين الذين حكموا العراق ، وقد أصبح اميراً للجيش في عهد هولاكو وشاركه في احتلال بغداد واختاره الاخير مع ثلاثة آلاف فارس لتوطيد الحكم المغولي في العراق .

يعد حسن الكبير المؤسس الحقيقي للدولة الجلائرية في العراق ، وقد اطلق عليه لقب (بزرك) اي باللغة الفارسية الكبير او تاج الدنيا والدين ، اذ بدأ الشيخ حسن حياته السياسية وواحداً من رجال الإدارة في عهد أبي سعيد آخر حكام الإلخانات المغول الأقوياء ، ولما توفي أبو سعيد سنة 1335م من دون وريث يخلفه على العرش تنافس على العرش

الطامعون من أمراء البيت الحاكم وكان حسن الجلائري واحداً من هؤلاء المغامرين واضطر في سبيل ذلك إلى أن يخوض غمار أربع حروب للظفر بالحكم على حساب الطامعين به ، وكان حسن الجلائري سياسياً حكيماً أراد أن يضمن لدولته قوتها ووحدتها فلم يعلن نفسه خاناً أو سلطاناً في بادئ الأمر ، بل أعلن ولاءه للسلطان المملوكي في مصر ليكون سنده الذى يحتمي به إذا ما فكر المغول في غزوة فساعده هذا التصرف على استقرار بلاده ، وعلى اساس ذلك تمكن حسن الجلائري ان يملأ الفراغ السياسي الذي تركه الالخانيين .

ازاء ذلك تمكن حسن الكبير على اثر مقتل (على بادشاه) خال السلطان أبي سعيد وحاكم العراق العربي وديار بكر عام ١٣٣٥ من الاستيلاء على الحكم في تبريز وبذلك أصبح مسيطراً على شمال غربي ايران .

اتخذ حسن الكبير بغداد طوال عهده عاصمة للدولة الجلائرية ولاسيما بعد أن تمكن من تصفية خصمه المعارض (حسن كوجك) عام ١٣٤٣ ، كما بسط حسن الكبير حكمه على الموصل وبغداد والحلة بعد أن قضى على حاكمها الملك الاشرف اخو حسن كوجك ، وسيطر على كامل أرض العراق ثم مد نفوذه على لورستان ومدينة تستر في إيران، كذلك بسط نفوذه على غيرها من المدن فاتسعت رقعة بلاده وامتد نفوذ حكمه ثم نادى بنفسه حاكماً مستقلاً في بغداد متخذاً لقب السلطان تاج الدين ولكنه اشتهر باسم الشيخ حسن الكبير بزرك ، تميز عهد حسن الكبير بنوع من الهدوء والاستقرار السياسي و تنظيم الادارة ، ثم توطيد السلطة الجلائرية في العراق واستثمار ما يمكن استثماره من موارد العراق الاقتصادية لصالح السلطة حتى وفاته عام ١٣٥٦ .

بعد وفاة حسن الكبير استلم من بعده إبنه أويس حكم العراق (١٣٥٦_ ١٣٧٤) بعد مبايعته من الأمراء ، ويعد أويس من ابرز حكام الأسرة الجلائرية بعد والده وقد عمل على توسيع رقعة الدولة فاستولى على أذربيجان من المظفريين حكام بلاد فارس ، ثم دفع

دولته شمالاً إلى سواحل بحر قزوين ، ومد نفوذه جنوباً إلى حدود كرمان وسواحل الخليج العربي ، وكانت آخر أعماله التوسعية ضم مدينة الري عام 1371م ونقل الشيخ أويس عاصمته إلى تبريز وتحول العراق إلى ولاية عاصمتها بغداد ، وبذلك انتقل نشاط الدولة الجلائرية السياسي من العراق إلى أذربيجان وتقربه من الفرس دون العرب ، فقد اتسم عهده بكثرة الصراعات مع حكام الأقاليم المجاورة وفي قمع حركات التمرد ، فأدى ذلك إلى قيام حركات التمرد في بغداد على الحكم الجلائري ، وكانت حركة الأمير مرجان بن عبد الله الأولجياتي حاكم بغداد للشيخ أويس من أشهر هذه الحركات فكانت النتيجة انضمام العرب بمختلف طوائفهم إلى مرجان وحركته وحُذف اسم الشيخ أويس من الخطبة رمز السيادة في الدولة وخُطب للسلطان المملوكي في مصر بدلا من الشيخ أويس .

بعدها خرج الشيخ أويس بحملة كبيرة من تبريز إلى بغداد في عام 1363م واستطاع وزيره أن يستميل أعوان مرجان إلى صفه ودخل الشيخ أويس بغداد منتصراً ولكن مرجان لم ييأس من المحاولة وعاد مرة ثانية إلى حكم بغداد ، فاضطر الشيخ أويس إلى الصفح عنه عندما التمس حب أهل العراق لمرجان ومكانته عندهم ثم أرسل ابنه الشيخ علي ليحكم بغداد، وبعد وفاة الشيخ أويس عام 1374 تعرض الحكم إلى الضعف والتدهور على إثر الاضطرابات الداخلية والصراع على السلطة بين الاخوة الاربعة ابناء اويس (حسن ، حسين ، احمد) فانقسم امراء الجيش والتف كل جماعة منهم حول أحد السلاطين الثلاثة ، وسرعان ما قامت الحرب بينهم وانتهت بانتصار السلطان احمد ومقتل الشيخ علي عام ١٣٨٣ ، ثم جرت مفاوضات بينه وبين عادل اغا فتم التواصل إلى صلح فصارت بموجبه أذربيجان للسلطان احمد واقاليم الجبال لبايزيد ، أما العراق العربي فأصبحت ادارته مشتركة بين السلطان احمد وعادل اغا، ولكن الاخير طمع بحكومة العراق بتحريض من امراء بغداد فارسل ابن خاله الامير تورسن حاكماً عليها فسار السلطان احمد إلى بغداد واحتلها وقتل تورسن وعين حاكماً من قبله وعاد الى تبريز ، لكن الامر لم

يستقر له ، إذ سرعان ما لاح الخطر القادم من الشرق المتمثل بالحملة المغولية الثانية بقيادة تيمورلنك عام ١٣٩٣.

_ مميزات ومظاهر الحكم الجلائري في العراق :

١_ رغم الاستقرار الظاهري في العراق خلال الحكم الجلائري الا ان اوضاعه العامة كانت سيئة بشكل كبير ولاسيما بعد وفاة أويس ، ويرجع ذلك الى الصراعات والنزاعات الاسرية والداخلية بين امراء وحكام الدولة الجلائرية من جهة ، والغزوات التيمورية من الجهة الثانية ، فضلا عن الضرائب الباهضة التي اثقلت كاهن الناس ، مما ساهم في تدهور الحالة الاقتصادية والمعاشية في العراق خلال ذلك العهد ولاسيما تعرض البلاد ايضاً للكوارث الطبيعية التي حدثت في ايران والعراق مثل هجوم الجراد وانتشار الوباء ما بين سنتي (١٣٤١-١٢٤٢) وما تبع ذلك من غلاء فاحش في الأسعار ثم عودة الوباء مرة أخرى إلى هذه المنطقة عام (١٣٤٨) ، كذلك فيضان نهر دجلة عام (١٣٥٤) ، مما زاد سوء الأوضاع العامة في العراق خلال الحكم الجلائري .

٢_ اقتصرت نظرة الحكام الجلائريين في العراق الى الريف باعتباره مصدر ثروة ويمكن استثمارها في تمويل عملياتهم العسكرية ودفع النفقات للجيش والمؤسسة العسكرية ، إذ ظهر نوع من الاقطاع عرف ب (الادرار) وهو بمثابة منح هبة للأشخاص الذين يقدمون واجبات وخدمات معينة للدولة .

٣_ شهد العراق في العهد الجلائري نوع من الحركة الثقافية والتعليمية إذ اتسم بوجود عدد من المدارس ومن أشهرها المدرسة المسعودية والمدرسة الإسماعيلية والمدرسة المرجانية .

٤_ كذلك شهدت بدايات عهد الحكم الجلائري في العراق نوعاً من الاستقرار الذي رافقه اهتمام بالحركة العمرانية لاسيما في عهد والى بغداد امين الدين مرجان الذي قام بتشييد

المدرسة المرجانية وخان مرجان ودار الشفاء في بغداد ، ويعد خان مرجان من أهم الخانات العراقية المكون من طابقين الاول من ٢٢ غرفة والثاني ٢٣ غرفة ، كما اهتم الجلائريين بالمشهد الكاظمي ، ولم يقتصر العمران على بغداد فقط بل تعداها الى الكوفة وكربلاء والنجف .

واخيرا يمكن القول ان الحكم الجلائري في العراق قد استمر ما يقارب 76 وللمدة 1335- 1411 وفيه بعض الايجابيات والكثير من السلبيات كغيره من الأسر التي حكمت في العراق خلال تاريخه الحديث .

المحاضرة الخامسة :

الحملة المغولية الثانية لبغداد بقيادة تيمورلنك ١٣٩٣_ ١٤٠١

ينتسب تيمور الى احد القبائل المغولية وقد نشأ نشأة اسلامية في مدينة كش في ما وراء النهر (جيحون) ، كان مولده بإحدى قرى سمرقند في وسط اسيا ويعود نسبه الى احد القبائل المغولية القديمة التي كانت تدين بالطاعة لجنكيز خان واولاده، هو قائد أوزبكي من القرن الرابع عشر ومؤسس السلالة التيمورية

(1370 – 1405 م) وأول الحكام في العائلة التيمورية الحاكمة والتي أستمرت حتى عام (1506م)، وقد مكنته شجاعته العسكرية من ضم القبائل المغولية تحت لوائه والتخلص من الامراء المنافسين على السلطة واحد بعد الاخر، واصبح حاكما على ما وراء النهر عام 1369م وأتخذ سمرقند عاصمة له وكان سوء الاوضاع الاقتصادية في بلاد ما وراء النهر ورغبة تيمور في السيطرة وعدم اعترافه بوجود حاكم اخر من العوامل المهمة في اندفاعه نحو الغرب ، لا سيما قد اعتبر نفسه وريث لأملاك المغول والإمبراطورية الالخانية التي كانت تضم خرسان وبلاد الجبل والعراق العربي واذربيجان والاحواز وفارس وديار بكر وآسيا الصغرى. اثارت الانتصارات التي احرزها تيمور في اواسط اسيا وشمال ايران والولايات الالخانيه قلق السلطان احمد في تبريز فأمر عام 1385م بوضع حامية عسكرية كبيرة في مدينة السلطانية وانسحب الى بغداد لكن قوات تيمور داهمت السلطانية بعد حقبة قصيرة .

وبعد ان اخضع تيمور عدة دول كان من المتوقع ان يضع العراق ضمن مخططاته التوسيعية لكونه مفتاح الى بلاد الشام والحجاز ومصر، وكانت الاوضاع السائدة في العراق لا تساعد على المقاومة فقد اتسمت سياسة السلطان احمد بضيق الافق وعدم تقييمه لقوة تيمور فلم يتخذ اجراءات عسكرية لدفع خطره وإقامة جبهة قوية تدعمه بل اجهد نفسه

في القضاء على خصومه السياسيين، اذ قتل عدد كبير من قادة الجيش واعيان رجال الدولة من ذوي الكفاءة والدراية والرأي في تدبير الامور، وجمع حوله عدد من الاشخاص ممن عرفوا بالجهل وقد ادى تقصيرهم وسوء تصرفهم في اعمال الدولة الى قيام المعارضة والفتن في كل مكان مما ادى الى كره سكان بغداد للسلطان احمد وسياسته التعسفية مما ادى الى لجوء بعض الاعيان الى تيمور يحرضونه على سلطانهم ويستحثونه على القدوم واحتلال بغداد ، اما على الصعيد الخارجي فان السلطان احمد لم يتعاون مع الدول المجاورة للوقوف بوجه تيمور، وكانت علاقته بهذه الدول ذات طابع عدائي، حيث لم يدرك السلطان احمد خطر تيمور الا بعد فوات الاوان وبعد ان فقد العاصمة تبريز فأخذ يفتش عن حليف يساعده على الوقوف بوجه هذا الخطر وباءت محاولته بالفشل.

الحملة الأولى 1393:

توجه تيمور على رأس جيش يبلغ تعداده حوالي مئة الف مقاتل من جهات ما وراء النهر نحو الغرب وبعد ان اخضعت هذه القوات فارس وخروستان وبلاد الجبل وبعد ان احكم سيطرتها على ايران تجمعت في همدان تمهيدا للزحف على بغداد ، وقد بعث تيمور رسالة الى السلطان احمد ومعه الخلعة والسكة وامره بإعلان خضوعه وان يذكر

اسمه على النقود وفي الخطبة ويقدم له فروض الطاعة لكن السلطان رفض واجاب برسالة تهكمية اعلن فيها استخفافه بتيمور.

شرعت قوات تيمور بسلسلة من الحملات على شمال العراق بقصد اخضاع القبائل الكردية والتركمانية المتحالفة مع السلطان احمد والاستحواذ على المواد الغذائية المتوفرة في المنطقة وضبط الطرق الموصلة الى بغداد وبعد ان احكمت هذه القوات سيطرتها على طريق ممتد بين همدان وجمجال اخضعت القبائل الكردية والتركمانية ، وجد السلطان احمد نفسه عاجزا عن مقاومة الجيش الزاحف فأعلن خضوعه وارسل له وفدا برئاسة الشيخ نور الدين عبد الرحمن الذي كان من اكابر مشايخ بغداد فأستقبله تيمور لكنه رفض استلام الهدايا لان السلطان لم يحضر بنفسه لتقديم فروض الطاعة، لقد اراد تيمور التمويه على السلطان احمد فبعد ان عاد الشيخ عبد الرحمن مطمئنا امر قواته بالزحف على بغداد فتقدمت هذه القوات عبر ممرات جبلية ضيقة وصلت بعد خمسة ايام الى مزار الشيخ ابراهيم، ولما علم تيمور بهروب التركمان امر قواته بالسير بأقصى سرعه فتقدم تيمور لاحتلال بغداد، تولى قيادة المقدمة الامير عثمان عباس، وتولى تيمور نفسه قيادة القلب، وقاد الميمنة حفيده محمد سلطان، والميسره ابنه ميران شاه ، فوصلت هذه القوات بغداد 1393 ونزلت في الجانب الشرقي (رصافة). في اب

اما السلطان احمد فحين علم بقدوم تيمور نقل امواله وحريمه واسلحته وارسلهم امامه الى الحلة ثم قطع الجسر ونقل السفن الى الجانب الغربي (الكرخ) واغرق بعضها واحرق البعض الاخر حتى لا يستفيد منه العدو وانسحب من بغداد مع عدد من اتباعه وبعد خروج السلطان احمد قام بعض اعيان المدينة بفتح الابواب واستقبلوا تيمور وكان على راس المستقبلين الشيخ نظام الدين الشامي الذي دون فتوحات تيمور فيما بعد. وقد عبر بعض اتباع تيمور نهر دجله سباحة لجلب السفن الراسية في الجانب الغربي من بغداد والتي لم يتمكن السلطان احمد من اتلافها فأستولى على سفينه السلطان الخاصة المسماة الشمس وهي ذات ثلاثين مجداف مع اربع سفن اخرى فأستخدم تيمور هذه السفن في العبور الى الجانب الغربي وسيطر على بغداد.

الحملة الثانية 1401:

بعد ان اتم تيمور احتلال بلاد الشام وعاد الى بلاد ديار بكر اعد جيشاً كبيراً وامره بالزحف على بغداد فوصلوا بعد عدة ايام الى الجانب الغربي وعسكروا في القسم الجنوبي من المدينة وقد استبسل الامير فرج في الدفاع عن بغداد وقرر عدم تسليمها مهما كلف الامر وحشد داخلها عدد كبير من مقاتلي العرب والتركمان وارسل الى الامراء وحكام

المدن القريبة طالباً منهم الحضور مع قواتهم لمشاركتهم في الدفاع عن العاصمة، فقدم الامير علي قلندر حاكم مندلي والامير جان احمد حاكم بعقوبة وعبروا دجله مع قواتهم والتقوا جميعا عند قرية صرصر القريبة من الجانب الغربي من بغداد واجتمع معهم حوالي ثلاثة الاف فارس اشتبكوا مع قوات تيمور، حيث هزمت القوات العراقية وقتل الامير جان مع عدد كبير من الجنود العراقيين وغرق قسم منهم في نهر دجلة بينما انسحب الباقي الى داخل المدينة، اصر الامير فرج على المقاومة رغم الخسارة التي تعرض لها اتباعه واعلن السلطان احمد امره ان لا يسلم المدينة الا عندما يحضر تيمور بنفسه ، وعندما علم تيمور بالأمر وقد كان في الموصل تحرك مع عدد كبير من اتباعه فوصل الى بغداد 30 ايار 1401 فأحاطت قواته بالمدينة من جميع جوانبها ، شدد تيمور الحصار على المدينة وتمكنت قواته من احداث عدة حفر في السور، ثم اشعل فيها النيران فسقط قسم من السور لكن المدافعين سارعوا الى اصلاحه وتمكنوا من تأخير اقتحام المدينة اربعين يوماً وعانى خلالها السكان من الجوع بسبب شحة المواد الغذائية. ورغم تفوق جيش تيمور من حيث العدة والعدد الا ان الظروف كانت في صالح الجيش العراقي بسبب شدة الحرارة وصعوبة تموين الجيش المهاجم لكن اهمال بعض جنود بغداد وتهاونهم ادى الى دخول المدينة .

ففي ظهيرة 30 حزيران 1401 نزل الجنود المدافعون عن برج العجمي في الجهة الجنوبية من بغداد للاستراحة من شدة الحر واكتشفوا اتباع تيمور الامر فتسلقوا السور

بواسطة السلالم واحتلوا البرج ، في الوقت نفسه تمكنت القوات المهاجمة من احداث ثغرات في السور فتم دخول المدينة ولم يجد السكان ملاذا من سيوف المحتلين سوى نهر دجلة لكن الجنود المرابطين على الجسر قتلوا كل من اقترب منها اما الامير فرج فقد ركب مع ابنه قاربا وفر عبر نهر دجلة ايضا لكن اتباع تيمور تمكنوا من اغراق القارب ومن فيه ثم انتشلوا جثة الامير فرج واوصلوها الى ضفة النهر.

نتائج حملة تيمور على العراق :

1- تعرض بغداد لخسارة كبيرة من جراء هذه الحملة فقد امر تيمور باستباحة المدينة واجراء مذبحة عامة للسكان شملت حتى الشيوخ والاطفال اذ قدر عدد السكان بثلاثة الاف شخص .

2- استولى اتباع تيمور على خزائن السلطان احمد وصادرو اموال الرؤساء والاعيان والامراء الذين هربوا معه كما نبهو كل ثمين يقع تحت ابصارهم من تحف ومجوهرات .

3- الخسارة في الجانب الحضاري فقد كانت كبيرة جدا رغم الكارثة التي حلت بالحضارة العربية بعد سقوط بغداد على ايدي المغول ضلت بغداد مركزا للعلم والصناعة والفن الا ان تيمور امر بجمع الموهوبين من اصحاب الحرف والصناعات والفنون المختلفة ونقلهم الى عاصمته سمرقند.

4- لم يكتفي تيمور لاحتلال بغداد وانما ارسل قوة عسكرية لتوجه ضربات الى المدن التي ثارت عليه ومنها الحلة التي استولوا عليها ونهبوها وخربوها.

5- اما في واسط فقد واجهة القوات التيمورية مقاومة من قبل قبيلة عبادة في هذه المنطقة وتعرض جيش تيمور عند انسحابه لهجوم القبائل في الشمال.

6- قرر تيمور وضع حد لسيطرته وضم بغداد الى نفوذه فأسند حكم العراق لحفيده ابي بكر وامره بأن يقوم باستمالة السكان وتشجيعهم على بناء دورهم وزراعة اراضيهم وان يعمل على اعادة تعمير المدينة واعادة الى ازدهارها السابق.

7- اتسم الجهاز الاداري في العهد الجلائري في مراحله الأخيرة عامة بالضعف والارتباك وقلة كفاية الموظفين و عدم توفير الأمن وحماية الطرق تلك نتائج اسهمت بانهيار حكم هذه السلالة على يده قوة تركمانية عرفت باسم دولة الخروف الأسود (قره قوينلو) حينما نجح زعيمها قره يوسف مؤسس الدولة في هزيمة قوات السلطان احمد الجلائري ومصرعه عام ١٤١٠ وفي السنة التالية دخلت قوات قره يوسف بغداد لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ العراق الحديث .

المحاضرة السادسة :

حكم اسرتي القره قوينلو (الخروف الاسود) والاق قوينلو (الخروف الابيض) 1411- 1508

تعد اسرتي القره قوينلو والاق قوينلو من القبائل التركمانية التي حكمت العراق بعد نهاية حكم الدولة الجلائرية للفترة الممتدة 1411 وحتى دخول اسماعيل الصفوي الى العراق عام 1508 ، نزحت تلك القبائل من منطقة اواسط اسيا وبالتحديد من تركمانستان ، عرفت قبيلة القره قوينلو ب(الخروف الاسود) وذلك لامتلاكها الشياه والخرفان السود ، اذ اتخذت لها راية تحمل صورة او شارة خروف اسود ، وكانت بزعامة شخصية معروفة هو قره يوسف ، اما قبيلة الاق قوينلو(الخروف الابيض) عرفت بهذا الاسم نسبة الى اقتنائها الشياه والخرفان البيض ، كذلك اتخذت لها راية بعنوان الخروف الابيض ، وكان زعيمهم الاكبر اوزون حسن ، ادت قبيلتي الخروف الاسود والخروف الابيض دورا مهما من الناحية السياسية في تاريخ العراق الحديث وقد تميز عهدهم بسلسلة من الصراعات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

اما عن حكمهم في العراق بسبب تحالف قره يوسف زعيم القره قوينلو سابقا مع السلطان احمد الجلائري فقد اعتبر قره يوسف نفسه وريثا للدولة الجلائرية بعد انتهاء حكمها في العراق لذلك توجه بحملة عسكرية كبيرة الى الموصل واحتلها عام 1408 ، وبعد موت تيمورلنك وعودة السلطان احمد الجلائري الى بغداد فحاول تقليص نفوذ القره قوينلو ، لذلك شن هجوما عام 1410 على القره قوينلو في اذربيجان غير ان قوات القره قوينلو تمكنت من قتل السلطان احمد اخر سلاطين الدولة الجلائرية بعد ان كان قره يوسف حليفا معه ضد تيمورلنك .

تمكنت قوات القره قوينلو من السيطرة على بغداد عام 1411 ثم تولى محمد شاه الحكم في بغداد ودخل في صراعات وتنافسات قوية مع من تبقى من حكام الجلائريين في كركوك واربيل والموصل وداقوق والدجيل ، اما قره يوسف فقد تكررت هجماته على بغداد غير ان المنية وافته عام 1420 ، ودخلت القره قوينلو في صراعات وتنازعات شديدة بين اولاده والمقربين منه وهكذا تميز عهدهم بالفوضى وعدم الاستقرار حتى نهاية حكمهم عام1470 بعد ان استغرق ستون عاما لتبدأ صفحة جديدة من تاريخ العراق الحديث تمثلت بحكم اسرة الاق قوينلو والتي بقيت في حكم العراق للفترة 1470–1508 .

خاضت اسرة الاق قوينلو سلسلة من الصراعات مع الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني ، ثم صراعها مع اسرة القره قوينلو وكذلك مع الجلائريين ، وعلى المستوى الداخلي فقد مرت اسرة الاق قوينلو بالعديد من الصراعات الاسرية والتمردات الداخلية بين ابنائها ولاسيما بعد وفاة زعيمهم (اوزون حسن) عام 1477 وبذلك تميز العراق خلال فترة حكمهم بالاهمال والفوضى وعدم الاستقرار وكثرة الحروب الداخلية بين المتنافسين على السلطة .

موقف القبائل العراقية من سيطرة القرة قوينلو والاق قوينلو :

ادت القبائل العراقية دورا بارزا في مواجهة القره قوينلو والاق قوينلو واهمها (قبائل بني اسد في الاحواز ، قبائل المنتفك في الفرات الادنى ، قبائل شمر وعنيزة في الانبار ، بنو شيبان في الموصل ، وال جود وال جحيش في الحلة والفرات الاوسط ، وقبائل ال فضل الطائية في المناطق الغربية من العراق خصوصا في حديثة وعانة والانبار ، وقبائل اخرى كبني اسد وبني تميم وبني سعد وغيرها .

اما الدور الاكبر لتلك القبائل التي اضعفت وجود القره قوينلو في العراق فقد تمثل بدور امارة المشعشعين التي تزعمها محمد بن فلاح المشعشعي 1440-1461 الذي فرض سيطرته على الحويزة واتخذها قاعدة ومركزا لنشاطه العسكري لمواجهة القره قوينلو والفرس ، وهكذا تمكنت القبائل العربية والعراقية الاصيلة من مواجمة الاخطار الخارجية عن طريق شن الهجمات والغارات الليلية على مناطق تواجد القوات المحتلة وعن طريق السيطرة على مفترقات الطرق الرئيسية .

اوضاع العراق العامة في عهد اسرتي القره قوينلو والاق قوينلو :

1-كثرة الصراعات والتنافسات الاسرية وما رافقها من فوضى واضطراب وخراب وعدم استقرار والقتل والنهب وانتشار الامراض والاوبئة والفقر والمجاعة وتدني مستويات المعيشة واهمال الخدمات الصحية والتعليمية .

2-من الناحية الاقتصادية استغلال موارد العراق والسيطرة على خيراته وموارده الاقتصادية والتجارية .

3-الاستحواذ على مقاطعات كبيرة من الارضي الزراعية مع فرض ضرائب باهضة مع اتاوات قسرية على العراقيين .

4- اسلوب حصار المدن و تهجير السكان العراقيين منها بالقوة وتوطين العناصر الفارسية فيها .

5-من الناحية الادارية فقد عانى العراق خلال فترة حكم الاسر التركمانية من الاهمال والفوضى الادارية وعدم حدوث اي تطور بسبب الحروب والتنازع بين زعمائها على السلطة .

وهكـذا انتهـى عهـد اسـرتي القـره قوينلـو والاق قوينلـو لتبـدأ صـفحة جديـدة مـن تـاريخ العـراق الحـديث تمثلـت بـاحتلال اسـماعيل الصـفوي للعـراق عـام 1508 ثم دخول العراق في مرحلة الصراع الصفوي العثماني .

المحاضرة السابعة :

نشأة الدولة العثمانية وعوامل التوجه نحو العراق والوطن العربي

يقع العراق ضمن منطقة تمتد بين حدود الدولة الصفوية من جهة والدولة العثمانية من جهة اخرى لذلك دخل العراق خلال تاريخه الحديث ضمن مرحلة الصراع الصفوي – العثماني لفترة طويلة منذ معركة جالديران عام 1514 وحتى توقيع معاهدة ارضروم الثانية عام 1847، وقد مر ذلك الصراع بسلسلة من المعارك العسكرية والحروب التي انتهت بعقد مجموعة من المعاهدات لتسوية مشاكل الحدود بين الطرفين ، لذلك لابد من ذكر نبذة مختصرة عن نشأة الدولتين لمعرفة دوافعهما التوسعية وأسباب توجهما نحو العراق والوطن العربي .

يـرى مجموعـة مـن البـاحثين والمـؤرخين وفـي مقـدمتهم المـؤرخ البريطـاني أرولنـد تـوينبي أن الأحـداث التـي وقعـت فـي الشـرق أوائـل القـرن السـادس عشـر هـي التـي جـذبت الدولـة العثمانيـة الـى الـوطن العربـي ، ومـن ابـرز هـذه الاحـداث ظهـور الدولـة الصـفوية فـي بـلاد فـارس ، ويضـيف أن التوسـع العثمـاني للأقطـار العربيـة مـا هـو الا مرحلـة مـن مراحـل الصـراع بـين الـدولتين العثمانيـة والصـفوية بقصد السيطرة على منطقة الشرق الأوسط

نشأة الدولة العثمانية :

لايزال موضوع نشأة الدولة العثمانية يثير جدلاً ونقاشاً بين أذهان المؤرخين المختصين والباحثين بالتاريخ العثماني وسبب ذلك يرجع الى عاملين أساسيين يتعلق أولهما : بفقدان المصادر والمواد الأولية التي تعود لتلك الحقبة ، وثانيهما : كثرة ما علق بهذا التاريخ من اساطير وخرافات ، لذلك تعددت الروايات في هذا الشأن وأبرزها هي الرواية التقليدية التي تقول بان العثمانيين ينتسبون إلى إحدى قبائل الغز التركية تتخلص بأن جد العثمانيين الأعلى وهو سليمان شاه ينتمي إلى عشيرة تركمانيه اسمها قايي ، وكان يحكم منطقة ماهان شمال شرق ايران في أواخر القرن الثاني عشر متجهاً مع جماعة من أتباعه نحو الأناضول ، وتش واشارت هذه الرواية إلى أن سليمان شاه غرق أثناء عبوره نهر الفرات عند قلعة جعبر فانقسمت اسرته إلى قسمين فضل احدهما ، القسم الاول كان بقيادة كنديار أحد أبنائه فضل العودة من حيث أتى ، اما القسم الآخر فكان بقيادة ارطغرل يعني اسمه " الرجل ذو القلب الابيض " قرر الاستمرار في الاتجاه نحو الأناضول و بهذا يعد ارطغرل (١٢٣١_١٢٨٨) مؤسس الأسرة العثمانية ، وبعد وفاة ارطغرل عام ١٢٨٨ تولى إبنه الأكبر عثمان (١٢٨٨ _ ١٣٢٦) رئاسة قبيلته واشارت الروايات التاريخية باعتناق عثمان للإسلام وزواجه من مال خاتون بنت رجل صالح يدعى (الشيخ العارف أدى بالي) ، ولم يلبث هذا أن حصل على امتيازات جديدة عقب فتحة قلعة (قره حصار) عام ١٢٨٩ فمنحه السلطان السلجوقي علاء الدين لقب (بك) واقطعه كافة الأراضي والقلاع التي استولى عليها وأجاز له سك العملة وذكر اسمه في خطب الجمعة وعلى اثر وفاة علاء الدين السلجوقي أعلن استقلاله عن الاراضي التي يسيطر عليها واتخذ لقب (باديشاه عثمان) اي سلطان كدلالة على قيام دولته ، ثم وسع امارته على حساب البيزنطيين مستغلاً الفوضى والإهمال فسيطر على قلعه بيلجيك و يني شهر(يكي شهر) وخلال الأعوام التالية كان عثمان قد تمكن من أحكام قبضته في الأناضول بعد أن احتل عدة حصون ومدن عام ١٣١٢ ، يظهر أن قوته بلغت حد ان هاجم بروسا

بعد عشر سنوات الا انه توفى قبل أن يحتلها تاركاً الأمر لابنه أورخان (١٣٢٦_ ١٣٦٠) التي اتخذها عاصمة له والتي تعد أحدي أهم النقاط العسكرية في الأناضول وبشكل عام فقد اتسم عهد اورخان بأمرين هما :

١_ اتساع العمليات العثمانية في عهده .

٢_ تنظيم الحكم في الدولة بعد اتساع رقعتها فقد عمد السلطان اورخان الى اصدار مجموعة من القوانين لتنظيم أمور الحكم وضرب العملة الذهبية والفضية واسس الجيش الجديد (القوات الإقطاعية) ، بعد ذلك اخذ العثمانيون في تزايد قوتهم ونفوذهم وامكانياتهم العسكرية في كل من الاناضول وشبه جزيرة البلقان والإمارات المجاورة لهم أمثال ادرنة التي احتلها مراد الاول عام ١٣٦١ونقل العاصمة من بروسه الى ادرنة التي ظلت عاصمة الدولة العثمانية حتى عام ١٤٥٣ وعلى اثر فتح القسطنطينية ١٤٥٣على يد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح قد اتخذها عاصمة له وسماها استانبول أي دار السلام انذاك .

لقد كان موضوع نشأة الدولة العثمانية والروايات المتعلقة به مثار نقد وتمحيص عدد من المؤرخين منهم المؤرخ الانكليزي كيبونز والمؤرخ التركي محمد فؤاد كوبري ، والمؤرخ الانكليزي بول ويتك والذين وضعوا نظريات حديثة تجاوزت الرواية التقليدية ذات الأسس الواهية وتبنوا افكاراً جديدة تتوافق مع المنطق العلمي والسياق التاريخي أو ضمن رؤية يقررها المنهج الذي يعتمده المؤرخ في دراسة التاريخ .

إزاء ذلك يمكن القول إن العثمانيون : هم قبائل نزحت من أواسط آسيا، واستوطنت في الشمال الغربي من بلاد الأناضول (تركيا حاليا) وقد سموا باسم العثمانيين نسبة الى المؤسس الحقيقي (عثمان ابن ارطغرل)، استفاد العثمانيون من ظروف الانقسام والتجزئة التي كانت عليها الامبراطورية البيزنطية فوسعوا املاكهم وعبروا الى الجانب الأوربي ، ثم

تمكن العثمانيون في عهد السلطان محمد الثاني (محمد الفاتح) من السيطرة على القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية زهاء الف عام في 29 ايار 1453، فقد كان العثمانيون طوال القرن الخامس عشر يتوسعون باتجاه اوربا الوسطى والشرقية وكان ذلك بداية لتحول دولتهم الى امبراطورية واسعة امتدت عبر أجزاء كبيرة من قارات ثلاث اسيا وافريقيا واوربا ،اتخذت الدولة العثمانية في عهد سلطانها سليم الأول (١٥١٢ _ ١٥٢٠) التوجه نحو الأقطار العربية محُدثاً بذلك انقلاباً في إستراتيجية الدولة العثمانية إذ توقف زحفها الأوربي ، ومهما تعددت الآراء واختلفت في تعليل هذه الظاهرة فإن هناك أسباب مهمة للتوجه :

أسباب ودوافع السيطرة العثمانية على العراق الأقطار العربية :

اولا: ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس وادعائهم بتزعم المسلمين مقابل شعور العثمانيين بانهم اولى بالدفاع عن الوطن العربي .

ثانيا: الغزو الاوربي للوطن العربي المتمثل بتوجه البرتغاليين والاسبان نحو الشمال الغربي من الساحل الافريقي والمياه العربية الجنوبية المتمثلة بالبحر الاحمر والخليج العربي و المغرب العربي .

ثالثا: تحول استراتيجية الدولة العثمانية من الخط الهجومي الى الدفاعي كان السبب الأساسي في اندفاع العثمانيين نحو الوطن العربي.

هكذا كان ادعاء كلا من الدولة الصفوية و الدولة العثمانية باحقيتهم في تزعم العالم الإسلامي جعل العراق ان يخضع للصراع بينهما ، اذ سيطرة الدولة العثمانية على العراق لمدة اربعة قرون من الزمن .

المحاضرة الثامنة:

نشأة الدولة الصفوية واحتلالها للعراق عام 1508

عرفت الدولة الصفوية بهذا الاسم نسبة الى صفي الدين اسحق الاردبيلي 1252-1335، اذ نشأت الدولة الصفوية في بلاد فارس اولاً كحركة دينية وسط الاضطراب الذي عم إيران عقب السقوط الدولة المغولية الأولى وهم بالأساس اسرة تركمانية صوفية تنتسب الى الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي الذي أشتهر في اردبيل بطريقته التي حقق نفوذاً واضحاً في هذه المنطقة ، انتقلت المشيخة الى احفادة خوجه علي بن حيدر الذي اتصل بتيمورلنك خلال غزوه للمنطقة فأوقف عليه اردبيل له ولاتباعه ، لذلك تمركزت الحركة هناك ثم اخذت في الانتشار، وحين انتقلت مشيخة الحركة الى جنيد سعى لتحويلها إلى حركة سياسية متخذاً القوة اداة لنشرها ، وقد ارتبط جنيد باواصر المصاهرة مع (اسرة اوزون حسن الطويل) مؤسس امارة آلاق قوينلو، فاكتسب جنيد بهذا الزواج قوة كبيرة وأصبح للحركة الصفوية ابعاداً سياسية واضحة المعالم .

واصل حسن الطويل دعمه لحيدر ابن الشيخ جنيد الصفوي اما أهم أعماله تشكيل القوة عسكرية وقد اتخذ لاتباعه لباساً مميزاً للرأس عرف (بلقنسوة الحمراء) اي القزلباش بمعنى ذوي الرؤوس الحمراء وقدر لهذه القوة أن ترسخ نفوذ الصفويين .

وفي عام ١٤٨٨ قتل حيدر في احدى المعارك المحلية فتولى قيادة الحركة الصفوية إسماعيل بن حيدر الصفوي الذي استفاد من ضعف امارة آلاق قوينلو في اواخر ايامها ليفرض سيطرته على أذربيجان ويدخل عاصمتها تبريز ويجعلها عاصمة له واتخذ لنفسه لقب الشاه عام ١٥٠١ .

حكم اسماعيل الصفوي إيران من ١٥٠٠ حتى ١٥٢٤، استخدم الشاه اسماعيل الصفوي الدين والتصوف وسيلة لفرض هيمنته على ايران متخذاً سياسة طائفية مقيتة ،

ومن ذلك اتخاذه سب الخلفاء الراشدين الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين من ناحية وكما أكد على ضرورة المبالغة في الاحتفالات الدينية من ناحية ثانية .

تطلع الشاه إسماعيل الصفوي إلى ما حوله فكان لابد أن يجذب العراق انظاره فهو مجال التوسع في الغرب ، كما أن أوضاع العراق السياسية المتدهورة آنذاك كانت مشجعة للتوسع الصفوي مدفوعاً بعدة اسباب منها :

١ـ العراق بلد زراعي يمتلك ثروات كبيرة تسد حاجة سكان ايران .

٢ـ يعد العراق مركزاً تجارياً مهماً يطل على الخليج العربي ، هذا بالإضافة إلى وجود العتبات والمراقد المقدسة فيه .

٣ـ السيطرة على بغداد يعني السيطرة على قلب العالم الإسلامي مما يعطي للشاه إسماعيل مكانة رفيعة لدى المسلمين.

على هذا الأساس احتل الشاه إسماعيل العراق عام ١٥٠٨ دون مقاومة تذكر وعين (خادم بيك) والياً على بغداد ، ومحمد كمونة مشرفاً على العتبات المقدسة ، وبهذا اصبحت الدولة الصفوية متاخمة للدولة العثمانية ، واصبحت إيران ملجأ للفارين من بطش السلطان العثماني وكذلك عمد الشاه اسماعيل الى تشجيع الحركات المناوئة ضد العثمانيين مما زاد تفاقم التوتر والصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية فيما بينهما لتحقيق دوافعهما واهدافهما التوسعية للبلاد مع استمرار الصراع الدموي بين الصفويين والعثمانيين للعراق حتى القرن التاسع عشر ، اذ توترت العلاقات بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية واعلن السلطان سليم الاول نفسه حاميا للمسلمين وزعيما لهم واستحصل على فتوى تجيز له مقاتلة الصفويين لذلك وضع خطة عسكرية وكانت معركة جالديران 1514 اول معركة عسكرية بين الطرفين .

واخيرا يمكن القول ان الدولة الصفوية قد مرت بمراحل مهمة :

1-مرحلة صفي الدين بن اسحق الاردبيلي 1252- 1335 الذي تنسب له الدولة الصفوية والذي اصبح له الاف الاتباع حتى وفاته .

2-مرحلة صدر الدين موسى وقد تميزت بالفوضى وعدم الاستقرار السياسي في ايران .

3-مرحلة جنيد 1447-1460 من المراحل المهمة في تاريخ الحركة الصفوية لأنها اتخذت طابعا سياسيا .

4- مرحلة حيدر ابن جنيد 1460-1500 وقد تحالف مع امارة الاق قوينلو الموجودة في العراق وكذلك تعد محلته مهمة لأنه نظم الدولة الصفوية من الناحية العسكرية .

5- مرحلة اسماعيل الصفوي 1500- 1524 وتعد اهم مرحلة في تاريخ الدولة الصفوية لأنه تمكن من بسط سيطرته ونفوذه على ايران ثم توسع على حساب المناطق المجاورة ولاسيما العراق من خلال اتباعه سياسة طائفية .

6- مرحلة طهماسب 1524- 1534 وصراعه مع السلطان العثماني سليمان القانوني والحملة العسكرية على بغداد 1534 .

المحاضرة التاسعة:

معركة جالديران1514 وبداية الصراع الصفوي- العثماني في العراق

تطورت العلاقات الصفوية – العثمانية مع مرور الزمن واتخذت شكلا عدائيا تصاعديا ولا سيما بعد ان احتل اسماعيل الصفوي العراق سنة 1508 ، وبذلك اصبحت الدولة الصفوية متاخمة ومجاورة للدولة العثمانية ، ولم تكن الحدود بين الدولتين مضبوطة بحيث تمنع الاشتباك ، اذ توترت العلاقات بين الطرفين واعلن السلطان سليم الاول نفسه

حاميا للمسلمين واستحصل على فتوى تجيز له محاربة الصفويين ، ونتيجة لعدة اسباب منها دينية وسياسية واقتصادية وعسكرية وضع السلطان سليم الاول خطة عسكرية واعد جيشاً قوياً لمحاربة اسماعيل الصفوي وتولى قيادة الجيش بنفسه ، ثم التقى الجيشان العثماني والصفوي في اول معركة عسكرية بينهما هي :

معركة جاديران : سميت بهذا الاسم نسبة الى المكان الذي دارت به وهو وادي جالديران على مقربة من تبريز عاصمة الدولة الصفوية لذلك عرفت في التاريخ بأسم معركة جالديران ، وبعض المصادر العثمانية اطلقت عليها اسم(يوم الفناء) وذلك لشراستها وضراوتها وكثرة القتلى بالآلاف من الطرفين ، وقعت في 23 اب 1514 ، تولى الشاه اسماعيل قيادة الجيش الصفوي والسلطان سليم الاول قيادة الجيش العثماني ، من ابرز نتائج المعركة انتصار الجيش العثماني على الجيش الصفوي ودخول السلطان سليم الاول تبريز عاصمة الدولة الصفوية ، فضلا عن سيطرة الدولة العثمانية على مناطق واقاليم مهمة من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية مما اصبحت تدر اموالا طائلة لخزينة الدولة العثمانية ولا سيما المدن الواقعة على طريق تبريز – حلب ، كذلك تراجع مكانة الدولة الصفوية وتشويه سمعتها العسكرية لمدة عشرين سنة تقريبا بعد الضربة العسكرية التي تلقتها في معركة جالديران ومن اسباب خسارة الصفويين في المعركة :

1- عدم التكافؤ بين الطرفين منح حيث العدد والعدة والتخطيط العسكري والكفاءة في القتال فقد تميزت القوات العثمانية بكثرة عددها وتطور اسلحتها ولاسيما المدفعية بالمقابل اعتماد الجيش الصفوي على نظام الفروسية القديم .

2- جرح اسماعيل الصفوي في المعركة ثم هروبه من المعركة كان عاملا من عوامل رجحان كفة الجيش العثماني .

وبالرغم من انتصار العثمانيين في معركة جالديران لكنها لم تحسم الصراع الصفوي – العثماني ولم تنتهي احدى الدولتان بشكل كامل لذلك لابد من اللجوء الى وسيلة جديدة وهي محاولة قلب ميزان القوى لصالح احد الطرفين وذلك بنقل الصراع الى خارج ايران والاناضول وان يجد هذا الصراع مجالا واسعا وساحة خصبة له في المناطق المجاورة فكان العراق في مقدمة الاقطار العربية التي دخلت في حلبة الصراع الصفوي العثماني .

بعد انتصار العثمانيين في معركة جالديران نصب السلطان سليم الاول الوالي (فرهاد باشا) حاكما على الموصل ، اذ فرضت السيطرة العثمانية على الموصل وسنجار وتلعفر والعمادية واربيل وكركوك وذلك في سنة 1515 .

اما العراق الاوسط والجنوبي فقد بقي تحت وطأة الاحتلال الفارسي ، اذ تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة لسياسة الاهمال والفوضى التي اتبعها الفرس ، فقد كثرت الاوبئة والامراض واهملت مشاريع الري والخدمات الصحية .

المحاضرة العاشرة :

السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠_ ١٥٦٦) والسيطرة على العراق ١٥٣٤

سليمان القانوني هو أحد سلاطين الدولة العثمانية وابن السلطان سليم الأول حكم للفترة ١٥٢٠_ ١٥٦٦وتعد حقبة حكمه من الفترات والمراحل المؤثرة في تاريخ العراق الحديث ، تولى قيادة الجيش العثماني بعد وفاة ابيه في العمليات العسكرية ضد الدول الاوربية والصفوية ، إذ لقب بالقانوني نسبة الى سنهِ العديد من التشريعات والقوانين المهمة .

تقدم العثمانيون بعد انتصارهم في معركة جالديران1514 نحو الولايات المتاخمة لحدودهما الموصل و أربيل وكركوك وتلعفر و وسنجار فأحتلوها عام ١٥١٥، غير ان الحكم العثماني ظلل في تلك مناطق قلقاً بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين آنذاك ، أما العراق الأوسط والجنوبي فقد بقى تحت الاحتلال الصفوي وقد تدهورت اوضاعه سكانه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية نتيجة سياسة الاهمال الذي اتبعها المحتلون الفرس ، فقد كثرت الأوبئة وأهملت مشاريع الرى وظل نظام الأراضي يعاني كثيرا من الفوضى، وبعد ان تبوأ السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠– ١٥٦٦) الحكم بعد وفاة ابيه حاول استمالة بعض حكامه المحليين ، لكن هذه الخطوة كانت سبباً في جعل العراق ساحة للصراع العثماني _ الصفوي وكاد السلطان القانوني يحقق هدفه بالسيطرة على العراق حين اعلن ذو الفقار بن علي بيك نفسه حاكماً على بغداد وعزل عمه ابراهيم خان موصلو عام ١٥٢٩ وأخذ يتقرب للعثمانيين وأظهر الولاء للسلطان سليمان القانوني ، الأمر الذي اثار حفيظة الشاه طهماسب الأول الذي تولى الحكم بعد أبيه اسماعيل الصفوي عام ١٥٢٤، الذي جهز حملة قام بها احتلال بغداد عام ١٥٣٠ وتمكن من قتل ذو الفقار بيك واخماد حركته الوطنية واعادة العراق للاحتلال الفارسي مرة ثانية ، شجعت هذه الاحداث العثمانيين على أن يتولوا بانفسهم السيطرة على العراق.

اسباب ودوافع حملة السلطان سليمان القانوني على العراق 1534:

العامل الاقتصادي : رغبة السلطان العثماني في السيطرة على طريق الحرير الوارد من تبريز نحو ارضروم الى الأناضول وكان من أهم الدوافع لشن حملة جديدة ضد الدولة الصفوية ، والحقيقة أن هذا طريق اصبح سالكاً امام التجار منذ حملة سليم الأول ، إلا أن الصفويين استعادوا ما فقدوه في هذه الحملة مما جعل الطريق في خطر ، الأمر الذي

تطلب من القانوني التدخل العسكري لتأمين هذا الطريق سالكاً ، فضلاً عن ذلك محاولة السيطرة العثمانية على طريق التوابل الواردة من البصرة_ بغداد_ حلب ، وأن هذا الطريق كان يداهمه الخطر في أن واحد من البرتغاليين في الخليج العربي و البصرة والخطر الصفوي في الأجزاء البرية منه، مما جعل تأمين الطريق التجاري من اولويات الاهتمام للعثمانيين.

العامل السياسي : ادت سياسة التحالفات بين الدولة الصفوية والقوى الأوربية من جهة وزيادة حوادث الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية الناجمة عن تحركات القبائل الكردية من جهة ثانية كان احدى الأسباب المباشرة للحرب بينهما ، فضلا عن ذلك نزاع مستمر بين أتباع الصفويين في الحدود الشرقية من الأناضول وبين الامراء الحدود العثمانيين ، كما اتهُم اسماعيل الصفوي بانه بعد وفاة سليم الأول عام ١٥٢٠ استغل انشغال السلطان سليمان القانوني في حملاته في بلغراد ورودوس واعطى زخماً لنشاطاته الداعية في الاناضول وسعى إلى شن الغارات على الحدود العثمانية في شرقي الأناضول وإقامة النفوذ على العشائر في المنطقة ، كذلك استاء العثمانيين من محاولات الشاه طهماسب إثارة القزلباش في الاناضول مقتفياً خطى والده اسماعيل الصفوي بالرغم من قيام السلطان العثماني بمذبحته المشهورة تجاة القزلباش في الاناضول الشرقي، ومهما يكن من أمر هذه الدوافع فلم يكن من العثمانيين تخلى عن فكرتهم للوصول الى الخليج العربي والامتداد الي مسلمي الهند وتحجيم دور الصفويين في المنطقة ولتحقيق هذه الغاية كان لابد من السيطرة على الطريق البري المؤدي إلى الخليج العربي عبر بغداد ثم البصرة .

إذ أقدم السلطان سليمان القانوني بتجهيز حملة بنفسه فتمكن من السيطرة على بغداد في٣٠ كانون الاول عام ١٥٣٤ دون ان يواجه مقاومة تذكر وطرد الصفويين منها ، اذ تحول العراق إلى حاضنة الدولة العثمانية، فأسس سليمان القانوني ادارة عثمانية في العراق حسب نظام الولايات العثماني ، إذ بقى سلطان القانوني أربعة أشهر عمل خلالها على

طمأنة السكان واعادة الاستقرار وتنظيم الإدارة والضرائب ، فضلاً عن ذلك استطاع السيطرة على البصرة واتخذاها قاعدة لنشاطهم البحري في الخليج العربي ، وتعين راشد بن مغامس عليها شريطة أن يكون تابعاً لوالي بغداد ، ثم عين حاكم ديار بكر السابق سليمان باشا الأول الطويل أول والي عثماني على بغداد ، كما قام السلطان القانوني بتقسيم العراق إلى خمسة مناطق إدارية عرفت بالايالات وهي ايالة البصرة و الموصل والاحساء و شهرزور وبغداد ، لقد تحول العراق في النصف الأول من القرن السادس عشر إلى اقوى رأس جسر للقوة العسكرية العثمانية في الشرق .

وفي أعقاب سيطرة على العراق امتد نفوذه على الخليج العربي إذ صارت البصرة بعد تأكيد السيطرة العثمانية الفعلية عليها عام ١٥٤٦ القاعدة الثانية بعد السويس لارسال الحملات البحرية ضد البرتغاليين ، وعندئذ بدأ الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين في هذه المنطقة الحيوية من العالم ولقد تولى عرب الخليج العربي مسؤولية الدفاع عنها ، وتقليص نفوذهم واضعاف قوتهم ،إذ تزعم قيادة حركة المقاومة الوطنية دولة اليعاربة التي ظهرت في عمُان عام ١٦٢٤ وتولت مسؤولية الصراع ضد البرتغاليين ونجحت في عهد حكامها الاوائل وخاصة ناصربن مرشد (١٦٢٤_ ١٦٤٩) والسلطان بن سيف (١٦٤٩_ ١٦٦٨) في قيام بحركة تحرريه كبرى لم تقتصر على مناطق النفوذ البرتغالي في الخليج وسواحل الجزيرة العربية فحسب انما امتدت الى قواعد البرتغاليين وقلاعهم في الهند وسواحل شرق افريقيا، فتحررت صحار ومسقط وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي للخليج العربي اخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون عام ١٦٩٥ هذا من جهة، فقد استمر الصراع العثماني الصفوي للعراق حتى عقدت معاهدات بين الجانبين كمعاهدة اماسيا ١٥٥٥ و ومعاهد اسطنبول الأولى ١٥٩٠ وغيرها من المعاهدات المهمة بالرغم من تجدد واستمرار الصراع الدموي بين الصفويين والعثمانيين في العراق .

المحاضرة الحادية عشر : الإدارة العثمانية في العراق

اهتم العثمانيون منذ بدأ سيطرتهم على الوطن العربي في القرن السادس عشر والتي استمرت قرابة أربعة قرون بتثبيت دعائم حكمهم وتنظيم الإدارة والمجتمع مستندين في ذلك الى مصدرين أساسيين : أولهما النظم التي كانت متبعة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية ، وثانيهما: النظم والقوانين التي كانت سائدة في الأقطار العربية قبل دخولهم اليها .

أسست الدولة العثمانية خلال حكمها في العراق ولا سيما بعد عام 1534 تنظيمات في مجالات ونواحي عدة منها في الجوانب السياسية و الإدارية والقضائية والعسكرية وفي الضرائب فوضعت تقسيما اداريا واضحا في العراق وقد طبق العثمانيون في العراق نظام الايالات المعمول به في بقية انحاء الدولة العثمانية وقسم العراق في بداية على خمس ولايات وهي بغداد والموصل والبصرة وشهرزور (كركوك) والاحساء ..

التنظيم السياسي والإداري:

أ _ الخليفة : كانت الخلافة العثمانية إحدى الاسس التي ارتكزت إليها فلسفة الحكم العثماني ، فقد عدّ العثمانيون دولتهم استمراراً للدولة العربية الإسلامية(الخلافة العباسية)التي سقطت في عام ١٢٥٨، وادعوا انهم اصحاب رسالة تدعوهم الى تحقيق أهداف الإسلام الكبرى ومنها حدود الإسلام وتوسيعها وحمايتها من الأطماع الأجنبية والمحافظة على العقيدة الإسلامية ، وحينما احكم السلطان العثماني سليم الأول سيطرته على مصر عام ١٥١٧ حرص على مقابلة محمد متوكل آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة آنذاك وعامله بما يستحقه من تبجيل واحترام ثم اصطحبه إلى استانبول .

تناول المؤرخون رواية تنازل الخليفة العباسي محمد متوكل عن الخلافة للسلطان العثماني سليم الأول بين مؤيد ومعارض ولكل طرف استند إلى مصادره الخاصة ومن

الذين ذكروا رواية تنازل عن الخلافة المؤرخ دوسون في كتابة" ملحمة عامة للإمبراطورية العثمانية " بيد أنه لم يذكر المصدر الذي يستند إليه ، ومن المؤرخين الذين اشاروا الى نفس الراوية منهم محمد فريد و ولين بول و مارك سايكس وآخرون ، كما أن بعض المرتبطين بالسلطان سليم الأول كانوا يطلقون عليه لقب الخليفة ، ومن هؤلاء معاصره ابن زنبل وقد لقب بركات شريف مكة السلطان سليمان القانوني عام ١٥٢٠ بلقب (خليفة الله) ، لاتؤيد المصادر الحديثة الرأي الذي يقول بحدوث تنازل خاصة وأن العثمانيون لا يمتلكون شرط الذي يتوفر بالخلافة هو الانتماء بالنسب إلى قريش ، فضلا عن ذلك أن العثمانيين لم يستخدموا مصطلح خليفة اثناء سيطرتهم على الوطن العربي إنما اكتفوا بلقب بالسلطان ، ومن هنا كانوا يفضلون لقب خادم الحرمين الشريفين ، أن المؤرخين الذين أنكروا حادثة التنازل يشيرون إلى عدة ادلة منها:

١ـ لم يرد في كتابات المؤرخين الرسميين الذين اصطحبهم السلطان سليم الأول معه الى مصر مما يدل على أن الخليفة المتوكل على الله تنازل عن الخلافة للسلطان سليم .

٢ـ أن أقرب المؤلفات التاريخية إلى عهد السلطان سليم وهو معروف باسم " تاج التواريخ " لمؤلفه سعد الدين ابن شيخ الإسلام الذي صاحب سليم أثناء غزوه لمصر لا يذكر شيئاً عن التنازل .

٣ـ أن نقود السلطان سليم لاتحمل لقب الخليفة .

٤ـ أن الخطباء في مصر ذكروا سليماً بلقب السلطان.

٥ـ أن سلطان سليم الأول كان يبعث الرسائل إلى ابنه ونائبه في اسطنبول الأمير سليمان القانوني يخبره فيها بتفاصيل الاحداث ولم يرد في رسالة أي خبر تنازل المتوكل على الخلافة له.

٦ ـ أن لقب لخليفة فقد أهميته منذ زمن طويل وإن الأمراء الضعفاء من السلاجقة والموحدين والهنود و الجلائريون تلقبوا بهذا الإسم .. وغيرها من الادلة التاريخية .

لعل أول نص رسمي ورد فيه الخليفة هو معاهدة كوجك كينجاري التي وقعت عام ١٧٧٤ بين السلطان العثماني عبد الحميد الأول وامبراطورية روسيا كاترينه ثانية ، وبموجب هذه المعاهدة وافقت روسيا أن يكون السلطان العثماني خليفة المسلمين وله حق في حمايتهم في شبه جزيرة القرم وهذا ينسجم مع السياسة الإسلامية التي اتبعتها الدولة لمواجهة الحركات القومية .

ومهما يكن من أمر فإن الرواية الشائعة عن تنازل لا تستند إلى أساس تاريخي ، وخاصة سرعان ما بدا يحتل أهمية كبيرة في القرن الثامن عشر وذلك حينما بدأت علامات الانحلال وتدهور الدولة وانحطاطها .

ب _ السلطان والحكومة : كان السلطان العثماني يطلق عليه اسم (خنكار)أو باديشاه السلطان الاعظم أو الرئيس الأعلى للدولة والجيش ويشترط أن يكون تركي الأصل ، لذلك تركز ولاءه في الدولة العثمانية إلى ال عثمان وحدهم فقط ، لقد عرفت الدولة العثمانية في التاريخ بعدة أسماء ففي عصورها الأولى أطلق عليها اسم دولة العلية ، ثم سميت سلطنة سنية ، على اثر زيادة قوتها واتساع رقعتها في ثلاث قارات اصبحت تعرف ب الإمبراطورية العثمانية أي ماتعرف ب((امبراطور لق عثمانلي) ، وارتاح العثمانيون الي الاسمين الآخرين لاحتواء كل منهما على لقب عثمانلي ، إذ نجد أن السلطان العثماني قد تمتع بسلطة عسكرية ومدنية مطلقة ويلي السلطان شيخ الإسلام وهو الرئيس الأعلى للعلماء ، وهناك صدر الاعظم أي رئيس الوزراء وكان يقوم بمساعدة السلطان بإصدار القوانين وإدارة البلاد ويطلق على الحكومة المركزية بأسم (الباب العالي) ، ويتولى الشؤون الخارجية (رئيس أفندي) وهو بمثابة وزير الخارجية .

تألفت الدولة العثمانية من وحدات إدارية وعسكرية عرفت(بالايالات العثمانية) وتنقسم إلى سناجق أي الوية وكان يعهد بشؤون الإيالة يعرف بكلر بكي أي بمعنى بك البكوات ، وقد بلغ عدد الايالات التي تألفت بها الدولة العثمانية أواخر القرن الثامن عشر حوالي (٣٢)اياله منها ١٥ كانت عربية آنذاك ، في حين أن الوضع قد تغير في القرن التاسع عشر فقد أصبحت الدولة العثمانية تنقسم إلى وحدات إدارية سميت بالولايات وتنقسم الى سناجق والسناجق الى اقضية ومن ثم نواحي وكانت على رأس الإدارة في الولاية الوالي وفي كل لواء متصرف ، وفي كل قضاء قائمقام وفي كل ناحية مدير ناحية ، وقد بلغ مجموع الولايات العربية خلال الفترة المذكورة (١٢) ولاية و (٤) متصرفيات مستقلة وهذا الولايات هي ولاية الحجاز وبغداد والبصرة والموصل وبيروت وحلب وسوريا واليمن و طرابلس الغرب وتونس ومصر والجزائر اما المتصرفيات فهي القدس و بنغازي و دير الزور وجبل لبنان وترتبط هذه الولايات والمتصرفيات بالعاصمة استانبول ، وكان المجتمع مقسم إلي طبقتين الاولى هي الأكثرية من المنتجين للثروة من العمال والفلاحين والحرفيين وهم يدفعون الضرائب للحكام ، أما الطبقة الثانية فهم الحكام ويمثلون الأقلية ولايدفعون الضرائب ، ومن هنا يمكن القول أن السطحية كانت ابرز خصائص الحكم العثماني ، كذلك جعلت السطحية جوانب الحياة الاجتماعية من تعليم وصحة خارج مسؤوليات الحكومة العثمانية انما من مسؤولية السكان، أما واجبات الدولة العثمانية فهي :-

١_ تنظيم استثمار الثروة التي تعود الى السلطان

٢_ اتخاذ الإجراءات اللازمة لزيادة هذه الثروة وحمايتها.

٣_ حفظ النظام وحماية الدولة من الخطر الخارجي وذلك بواسطة الجيش .

يلاحظ من التاريخ العثماني أن أركان الدولة العثمانية اربع هم : العسكر و العلماء و التجار و الرعية هم عامة الناس .

ج _ الوالي : وهو برتبة وزير ، كان السلطان العثماني هو الذي يعين الولاة ومعظمهم من الاتراك أو حاشيته الخاصة ويلقب الوالي ب(الباشا) وله سلطة واسعة تصل إلى حق الاعدام ومصادرة الأموال ، كذلك لم يكن للوالي ان يتمادى في نفوذه لأن السكان كانوا يلجئون الى القاضي ورجال الدين عندما يطغى الوالي ويستبد دون رجوع للسلطان ، وكانوا يرفعون الشكاوى مباشرة إلى السلطان، كما لم تكن مدة الوالي طويلة في الحكم أي تتروح بين سنة او ثلاث أو اقل من ذلك حسب الوضعية والظروف، فضلاً عن ذلك كان الوالي في الولايات العربية راتباً سنوياً يسمى (ساليانه) ويجمع الوالي بين السلطتين المدنية والعسكرية بالإضافة إلى ذلك يقف الى جانبه في أركان الولاية هم نائبه الكتخدار مسؤول الأمن و والدفتردار مسؤول المال وتسجيل إيرادات ومصروفات الدولة بسجل خاص و المكتوبجي أي مسؤول عن تحريرات الولاية و الخزنه دار امين الخزانه الخاصة و اغا الانكشارية قائد الحماية العسكرية للولاية ، وتسند مهام الأمور القاضية الى القاضي ، وهو الشخصية الثانية بعد الوالي من حيث الأهمية والمكانة مسؤول عن تطبيق العدل والاهتمام بالمسائل الشرعية والإشراف على جميع الضرائب ومراقبة الأسواق وكذلك مراقبة سلوك الوالي ويساعده موظفان الاول : بلقب (صوباشي) وهو رتبة عسكرية بمثابة رئيس الشرطة في وقت السلم وقائد للفرقة في نفس الوقت والثاني : (احتساب اغاسي) أي المحتسب وواجبه معاونة الصوباشي ومراقبة الأسواق ، إضافة إلى العديد من الموظفين، وكذلك ايضاً هناك نقباء الإشراف في عواصم المدن العربية وهم الإشراف الذين يعودون نسبهم الى نسب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومعظمهم من الاسر العربية العريقة الشريفة التي اشتهرت بالعلم والسيادة والزعامة ومن هؤلاء الإشراف في مكة وال البكري في القاهرة وال الخالدي والعلمي بالقدس و آل النقيب في البصرة وآل الكيلاني في بغداد ، وكان الإشراف في العهد العثماني وقبله يقومون بدور الوسيط بين الحكام المحليين والسكان من عامة الناس

اما التنظيم الإداري خارج الولاية كان محدوداً فكل سنجق حاكم مسؤول عنه من جميع النواحي العسكرية والاقتصادية ويعين بحسب رغبة الوالي ، كما تركت ادارة العشائر الى شيوخها حسب معرفتهم للقوانيين والتقاليد العشائرية ، ويرجع ذلك إلى ضعف وعجز الدولة العثمانية بالأنظمة لبسط الحكم القوي في ولاياتها.

اما القوات العسكرية العثمانية في العراق فقد تكونت من ثلاث اصناف :

1- القوات النظامية 2- القوات الانكشارية 3- الطوبجية (صنف المدفعية)

اما فيما يخص التنظيمات الادارية للعراق فقد قسمت الدولة العثمانية العراق على خمس ولايات :

١_ بغداد وتضم ١٨سنجقاً أو لواء اضافة الى المركز.

٢_ الموصل وتضم ٦ مناطق

٣_ شهرزور وتضم ٢١سنجقاً

٤_ البصرة ولم يكن بها أي سنجق بسبب التركيبة العشائرية فيها.

5- الاحساء

_ ساد العراق خلال تلك حقبة نوعاً من الاستقرار دامت قرابة النصف قرن ، وادرك السلطان العثماني سليمان القانوني اهمية العراق وان ضياعه يعني تجدد الأطماع الإيرانية في المنطقة ، اختار العثمانيون ولاة امتازوا بالبسالة والشدة على العراق ، شيد أولئك الولاة عدد من الجوامع والمدارس أبرزها (جامع الملوية) الذي شيدة مراد الرابع ، كما عمر والي بغداد سنان باشا (جامع الصياغة) وبنى حسن الباشا (جامع الوزير)، أما الحركة التجارية فنشطت وأصبحت بغداد مركزاً تجارياً وفيها بضائع تباع بأسعار رخيصة ودار لضرب النقود.

اخذ الوضع في العراق بالتدهور و بدأت الفوضى بالانتشار مع مطلع القرن السابع عشر وكثرة الحركات الانفصالية بسبب حالة الضعف التي دبت في أوصال الدولة العثمانية نتيجة لعدة عوامل منها:-

١_ ضعف شخصية سلاطين الدولة الذين تولوا الإدارة العثمانية .

٢_ تضاؤل قدرات وقابليات الولاة .

٣_ تدخل الحريم في شؤون الدولة .

٤_ هبوط قيمة العملة .

٥_ تزايد قوة أعداء الدولة العثمانية ولاسيما روسيا ، اذ ادت تلك العوامل الى اعادة احتلال الصفويين لبغداد عام ١٦٢٣.

المحاضرة الثانية عشر :

المعاهدات العثمانية-الصفوية وتسوية المشاكل بينهما في العراق 1555-1639

يقع العراق ضمن منطقة تمتد بين حدود الدولة الصفوية من جهة والدولة العثمانية من جهة اخرى لذلك دخل العراق خلال تاريخه الحديث ضمن مرحلة الصراع الصفوي – العثماني لفترة طويلة منذ معركة جالديران عام 1514 وحملة السلطان سليمان القانوني على العراق عام 1534 وحتى توقيع معاهدة ارضروم الثانية عام 1847، وقد مر ذلك الصراع بسلسلة من المعارك العسكرية والحروب التي انتهت بعقد مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات لتسوية مشاكل الحدود بين الطرفين وتوزيع مناطق النفوذ بينهما ، لذلك سيتم الاشارة اليها وحسب التسلسل التاريخي لتوقيعها والبنود التي نصت عليها :

1- معاهدة اماسيا 29 ايار 1555 : هي اول معاهدة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في تاريخ العراق الحديث سميت بهذا الاسم نسبة الى المدينة

العثمانية المعروفة التي وقعت فيها بتاريخ 29 ايار 1555 لإنهاء حالة الحرب بين الطرفين وتسوية مشاكلهما في العراق ، نصت على تبعية العراق للدولة العثمانية ، وتخطيط الحدود لولاية شهرزور ، تعهد فيها العثمانيون بتأمين طرق الحج والحفاظ على سلامة الحجاج الايرانيين .

غير ان معاهدة اماسيا لم تحسم الخلاف والنزاع بين الطرفين وذلك بسبب النزاعات العشائرية القائمة على الحدود ولجوء بعض زعماء العشائر لهذا الطرف او بالعكس فضلاً عن هجوم عشائر البدو على القوافل التجارية وقوافل الحجاج مما يؤدي الى توتر العلاقات بين الطرفين ، وبقيت المشاكل بين الطرفين قائمة ولا سيما بعد ان حصل الصراع الاسري بين ابناء السلطان سليمان القانوني (بايزيد وسليم) عام 1560 وقد ساند السلطان ابنه (سليم) مما دفع (بايزيد) الى الالتجاء الى الجانب الصفوي وبذلك استغل الشاه طهماسب ذلك الصراع من اجل الضغط على الدولة العثمانية لتعديل بنود معاهدة اماسيا ، بعدها دخل العثمانيون في مشاكل وصراعات مع الصفويين استمر ذلك الصراع حتى بعد وفاة السلطان سليمان القانوني عام 1566 .

2-معاهدة اسطنبول الاولى : سميت بمعاهدة (فرهاد باشا) نسبة الى الوالي العثماني فرهاد باشا ، تم التوقيع على المعاهدة بين الطرفين في 21 اذار 1590 لتسوية المشاكل الحدودية وتوزيع مناطق النفوذ بينهما في العراق .

3-معاهدة اسطنبول الثانية : تم التوقيع على معاهدة اسطنبول الثانية في 20 تشرين الثاني 1612 والتي نصت على ترسيم واعتماد الحدود التي

كانت تفصل بين الدولتين منذ عهد السلطان سليمان القانوني ، وفيما يتعلق بالعراق فقد نصت على :

أ- تتعهد الدولة العثمانية بعدم منع المسافرين الايرانيين من المرور بأراضيها وتسمح لهم بسلوك طريق بغداد- البصرة .

ب- نصت المعاهدة على تبعية شهرزور الواقعة بين اربيل وهمدان للدولة العثمانية ، مقابل تعهد الشاه الايراني بعدم حماية حاكمها هلو خان .

4-معاهدة سراب : نتيجة لاستمرار الهجمات العثمانية على الاراضي الصفوية عام 1515 وهجوم الصفويين على العراق عام 1616 فقد وقعت معاهدة بين الطرفين في 29 ايلول 1618 لتسوية المشاكل القائمة عرفت بمعاهدة سراب التي نصت في بنودها على ما جاء في معاهدتي اماسيا واسطنبول الثانية .

واخيرا يمكن القول بالرغم من هذه المعاهدات التي وقعت بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية الا ان الصراع الصفوي العثماني بقي مستمرا في العراق ومن ابرز الامثلة التاريخية على ذلك هو تمرد بكر صوباشي 1623 واعادة السيطرة الصفوية على العراق ثم من بعدها توقيع معاهدة زهاب 1639 والتي سيتم الاشارة اليها في المحاضرات القادمة حسب التسلسل التاريخي لأحداث تاريخ العرق الحديث .

المحاضرة الثالثة عشر :

تمرد بكر صوباشي العسكري في العراق عام ١٦٢٣

من الاحداث المهمة والبارزة في تاريخ العراق الحديث هو التمرد العسكري الفاشل الذي قام به بكر صوباشي عام 1623 وهو جزء من خطة واسعة في طبيعة الصراع الصفوي – العثماني وذلك لان الصفويين استغلوا فشل بكر صوباشي وتمكنوا من اعادة سيطرتهم على بغداد آنذاك ، كما تعد حركة بكر صوباشي من أكثر الحركات الانفصالية التي حدثت في الولايات العثمانية .

بكر صوباشي أحد قادة القوات الانكشارية العسكرية للدولة العثمانية الذين حكموا عسكريا في بغداد ، وهو من صنف المشاة احد التشكيلات القوية للجيش العثماني ، كان في امرته ما يقارب 4000 من جنود الانكشارية ثم ازداد عدد اتباعه فيما بعد الى 10,000 مقاتل كما ذكرت المصادر التاريخية .

_ عوامل تمرد بكر الصوباشي في العراق

١_ ضعف بعض السلاطين والولاة الذين تولوا إدارة الدولة العثمانية في العراق

٣_ تدخل الحريم في شؤون وادارة الدولة ، مع تزايد قوة أعداء الدولة العثمانية ولاسيما روسيا مما ادى الى تمردات الانكشارية المستمرة .

4- استغلال منصبه في الجيش وطموحه الكبير في إدارة السلطة على بغداد .

٥_ عدم استجاب الباب العالي والسلطان العثماني لمطالبه في توليه باشوية ولاية بغداد مما ولد حقد لدى بكر صوباشي على الدولة العثمانية ففكر بإعلان تمرده .

٦_ وجود منافسين له على السلطة ولا سيما محمد آغا قنبر .

بدأت اطماع و نفوذ بكر صوباشي بالتزايد منذ عام 1619 ، ثم دخل في تنافس ومشاكل عديدة مع والي بغداد العثماني آنذاك يوسف باشا ، بعدها نصب بكر صوباشي ابنه(محمد اغا بلوك) على بغداد ثم خرج على رأس

حملة عسكرية كبيرة مؤلفة من 5000 مقاتل عام 1621 الى مناطق الفرات الاوسط بحجة تأديب العشائر العراقية التي امتنعت عن دفع الضرائب السنوية الى خزينة الدولة العثمانية لذلك اصطدم بكر صوباشي مع خصومه مع قادة الانكشارية الاخرين .

اما محمد اغا قنبر احد قادة الانكشارية فقد اجتمع مع كبارة الانكشارية واشراف المدينة من اجل وضع خطة للتخلص من بكر صوباشي فلما وصلت الاخبار الى بكر صوباشي اسرع بالعودة الى بغداد فحاصرها حصارا شديدا وقصفها فقتل والي بغداد يوسف باشا ومرت المدينة بأزمة اقتصادية كبيرة ولم يبقى امام محمد اغا قنبر سوى طلب الامان والاستسلام لقوات بكر صوباشي ، بعدها سلم محمد اغا قنبر نفسه وتم قتله هو ومن معه من اتباعه بطريقة قاسية وبشعة كما ذكرت المصادر التاريخية .

أصبح بكر صوباشي بعد التخلص من منافسيه (يوسف باشا ومحمد اغا قنبر) هو حاكم بغداد بلا منازع ، وكتب إلى الباب العالي في الأستانة يطلب ان ينعم عليه السلطان بباشوية بغداد لقاء قضائه على التمرد الأخير، وقبل أن يتلقى جوابا وزع منشوراً مزوراً أعلن فيه انه اصبح والياً على بغداد ، ورفض سليمان السلطان العثماني آنذاك السلطان مصطفى الأول طلب صوباشي وعين باشا (والي ديار بكر) واليا على بغداد ، فأرسل متسلمه علي آغا بتسليم الباشوية ، ورفض بكر صوباشي مقابلة المتسلم وأعلن تمرده على أوامر الباب العالي فأصدر السلطان أوامره لوالي ديار بكر حافظ باشا لتوجيه حملة عسكرية تتولى الإطاحة ببكر صوباشي واستعادة بغداد .

إزاء ذلك توجه حافظ باشا على رأس حملة عسكرية الى بغداد لتأديب الثائر صوباشي حصاراً عليها ، أراد صوباشي منذ اليوم الأول من ووصلت قواته مشارف بغداد وفرض الحصار ان يباغت الجيش العثماني ليلا ويلحق به خسائر فادحة حتى استطاع مرة أن يفرق شمل الجيش العثماني الذي تراجعت قطاعاته الى ديالى وجمع حافظ باشا جيشه إليها المشتت وقرر القيام بهجوم شامل على المدينة بعد قطع جميع الطرق الموصلة بهدف فرض حصار اقتصادي على المدينة .

وعلى الرغم من هذا الهجوم فقد بدأت أثار الحصار واضحة في المدينة التي بدأت تعاني المجاعة وأصبح هلاك المحاصرين في بغداد قاب قوسين أو أدنى وهو ما حدا ببكر صوباشي أن يبعث إلى الشاه الصفوي الشاه عباس الكبير مفاتيح بغداد مقابل أن يراقب ينقذ الشاه مدينة بغداد من حافظ باشا وجيشه ، وفي الواقع كان الشاه عباس فجاء طلب صوباشي بمثابة فرصة ذهبية لشاه عباس ، التطورات العسكرية عن كثب ،عقد حافظ باشا اجتماعا مع قادته بعد أن تأكد له اتصال صوباشي مع الشاه الكبير عباس واحتمال قيام بكر صوباشي بصك النقود باسم الشاه ، وعندما كانت المناقشات مستمرة حول كيفية حل هذه المشكلة جاء رسول من القائد الصفوي (قرقجي خان) الى حافظ باشا يطلب منه الإنسحاب من حول بغداد لأنها اصبحت فارسية واستعمل القائد الصفوي سياسة الوعيد لإرهاب حافظ باشا وإجباره على الانسحاب بينما أصبح الهم الأول لحافظ باشا بعد رجوع الرسول الفارسي هو إقناع بكر صوباشي بالعدول عن رأيه بالتعاون مع الشاه عباس الصفوي فعرض عليه باشوية الرقة وعلى ابنه حكم سنجق الحلة إلا أن هذا العرض رفضه صوباشي بشدة واستمر الحصار على بغداد، غير أن حافظ باشا قرر في النهاية الخضوع للأمر الواقع حقنا للدماء من جهة وحفظا لكرامة الدولة العثمانية من جهة أخرى وذلك بمنح حكم ولاية بغداد لبكر صوباشي واسناد مهمة الدفاع عنها إليه .

في ضوء تلك التطورات كتب بكر صوباشي الى الشاه عباس يأمره بسحب جنوده وكان الجيش الصفوي قد وصل أطراف خانقين ، فلما تسلم الشاه الكتاب قرر دخول بغداد بنفسه عقاباً لبكر صوباشي ، وفرض الحصار عليه لمدة ثلاثة أشهر وكان محافظ قلعة بغداد محمد اغا ابن بكر صوباشي قد شعر بأن لا جدوى لأبيه بالاستمرار على المقاومة بسبب المجاعة التي اودت بحياة آلاف من السكان ، فضغط الحصار بشدة على الأهالي ، أغراه بمنصب الولاية استطاع الشاه استمالة محمد ابن بكر صوباشي الى جانبه بعد أن حال فتح ابواب سور بغداد للجيش الصفوي وبالفعل قام محمد بفتح ابواب سور بغداد للقوات الصفوية فدخلت بغداد واستولت عليها في 21 تشرين الثاني 1623 .

اختلفت الروايات التاريخية حول دخول الصفويين الى داخل قلعة بغداد :

1- البعض يرى ان بكر صوباشي قد عجز عن مقاومة قوات الشاه فارسل اليه رسائل يدعوه فيها الى الاستسلام ففسر الشاه عباس هذا ضعف من بكر صوباشي .
2- الرواية الاخرى اشارت الى ان محمد بن بكر صوباشي قد اتصل بالشاه عباس وطلب منه الامان مقابل ان يسلمه قلعة بغداد .
3- اما الرواية الثالثة فقد ذكرت ان الجنود الصفويين تسللوا ليلا الى داخل القلعة فامتلئت القلعة بألاف الجنود.
4- الرواية الرابعة اشارت الى حدوث تمرد داخل القلعة مما فسح المجال لدخول القوات الصفوية في صبيحة 28 تشرين الاول 1623 وقام الجيش الصفوي بقتل اتباع بكر صوباشي وكثير من السكان الابرياء .

تمكن الشاه عباس من القاء القبض على بكر باشا صوباشي واخوه عمر ، وأمر الشاه بإيقاد النار، ثم وضعهما في قفص حديدي ، وكل هذا تحت نظر ابنه الخائن محمد ، ثم أمر الشاه بوضع بكر باشا في قارب مملوء بالزفت والكبريت واحرقوه وألقوه في نهر

دجلة ، أما ولده الذي كان يطمح بحكم بغداد فقد عزل ولم يحصل على ما كان يخطط له .

واخيرا انتهت صفحة بكر صوباشي وابنه محمد اغا وخرجت بغداد من السيطرة العثمانية الى سيطرة الصفويين ، وفي عام 1638 قاد السلطان العثماني مراد الرابع الحملة العسكرية لإسترداد بغداد وبعد حصار دام أكثر من أربعين يوماً دخلت القوات العثمانية بغداد ، لتعود العراق مرة أخرى تحت السيطرة العثمانية .

- نتائج تمرد بكر الصوباشي :

١_ نتج عن هذا التمرد سوء الأوضاع الداخلية في بغداد وكثرة القتلى والمجاعة وأضرار مادية وحضارية نتيجة الحصار الشديد على أهلها.

٢_مقتل بكر الصوباشي على يد الشاه عباس الكبير . واتباعه

٣_ خيانة بكر صوباشي للدولة العثمانية من خلال الاستعانة ب عباس شاه الصفوي لفك الحصار عن بغداد مقابل تسليمه بغداد حيث جاءت هذه الفرصة للصفويين في إحتلال بغداد.

٤ _ أدت حركة صوباشي الانفصالية الفاشلة إلى وقوع بغداد بيد الصفويين، ولم تقف الدولة العثمانية التي كانت تعد اعادة بغداد الى سيطرتها مسألة مهمة بالنسبة لها بموقف المتفرج ، إزاء هذا الاحتلال اخذت الحملات الواحدة بعد الأخرى في محاولة لاسترجاع بغداد من الصفويين ، وقد اتم ذلك على يد السلطان العثماني مراد الرابع عام ١٦٣٨، الأمر الذي دفع الصفويين إلى طلب الصلح وايقاف القتال بعد حصار دام ٤٠ يوماً ، فوافق السلطان وتم الاتفاق

على إنهاء المقاومة والانسحاب من بغداد ثم وقعت معاهدة زهاب 1639 بين الطرفين .

مادة الكورس الثاني

اولا / معاهدة زهاب (معاهدة قصر شيرين الحدودية) عام ١٦٣٩

مرت العلاقات الصفوية – العثمانية في العراق بعدة مراحل من الاحداث السياسية والعسكرية ، وان الوجود العثماني في العراق لم يقض نهائياً على الوجود الصفوي _ وظل الجانبان يتنافسان من أجل السيطرة النهاية على هذا البلد ، واضحى الصراع بينهما ظاهرة سائدة في القرن السادس عشر، وقد مر ذلك الصراع بسلسلة من المعارك العسكرية والحروب التي انتهت بعقد مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات لتسوية مشاكل الحدود بين الطرفين وتوزيع مناطق النفوذ بينهما ذكرت عدة معاهدات في الفصل الدراسي الاول اما معاهدة زهاب عام ١٦٣٩ تعد اهمها لأنها الغت المعاهدات السابقة وعدت اساسا للمعاهدات القادمة وكذلك عرفت باسم معاهدة قصر شيرين الحدودية .

أن معاهدة زهاب تعتبر أول معاهدة بين الدولة العثمانية والصفوية بالمعنى الصحيح من حيث إقرار الحدود ومفهومها بشكل واضح، وتاشيرها المناطق العائدة إلى كل جانب .

بدأت الجلسات الصفوية والعثمانية الأولى برئاسة صاروخان والعثمانية برئاسة الصدر الأعظم مصطفى باشا، وبعد مناقشات طويلة تم الاتفاق التام بين الطرفين على إنهاء النزاع حول الحدود ، بعد تطابق آراء الطرفين حول النقاط المطروحة على بساط البحث ، وقع المندوبان على محضر الجلسات في ١٧ أيار ١٦٣٩و باللغتين التركية والفارسية ،ثم جرى التصديق على المعاهدة من قبل الدولتين في السنة نفسها إذ صادق عليها الشاة صفي في ٢١ أيار ١٦٣٩ و السلطان مراد الرابع في ٣ حزيران من العام نفسه ، واعتبرت المعاهدة نافذة المفعول من تاريخ التوقيع، واستمرت سارية المفعول دون اعتراض من الجانبين لفترة طويلة من الزمن ، وقد نصت على تكون بغداد والبصرة والموصل وكردستان الغربية و شهرزور من نصيب الدولة العثمانية، في حين تكون أذربيجان الشرقية و راوندوز وارمينيا الشرقية وبلاد الكرج من نصيب الدولة الصفوية.

اتسمت معاهدة زهاب بعدة مضامين وبنود الأساسية أهمها:-

١_ امتازت هذه المعاهدة بأنها حددت مناطق الحدود الممتدة من الشمال حتى الجنوب و توفر حالة من الاستقرار والأمن في مناطق معينة من الحدود بعكس المعاهدات السابقة .

٢_ المعاهدة اخذت بنظر الاعتبار العامل الطبيعي في رسم الحدود بين الدولتين.

٣_ فرض الجانب العثماني شروطاً معينة لعقد الصلح منها هدم بعض القلاع الواقعة على الحدود ، وهذا يعني أن العثمانيين كانوا ينطلقون في مفاوضاتهم مع الجانب الصفوي من منطق القوة .

٤_ أن معاهدة زهاب كغيرها من المعاهدات التي تعقد بين دولتين اسلاميتين يغلب عليها الطابع الديني .

٥_ شطرت هذه المعاهدة بعض العشائر الكردية مثل عشيرة الجاف إلى شطرين بحيث بقي قسم منهم في الجانب العثماني مثلا(عشيرة ضياء الدين و هاروني) وآخر في الجانب الصفوي أمثال بيره وزودي قد اصبحت هذه العشيرة نتيجة لهذا لتقسيم مصدر متاعب لكلتا الدولتين .

٦_ أهملت هذه المعاهدة الإشارة إلى طبيعة الحدود بين العراق وإيران في المناطق الجنوبية أمثال منطقة عربستان التي أصبحت فيما بعد من المناطق المتنازع عليها بين الدولتين العثمانية والصفوية.

٧_ ان معاهدة زهاب أوجدت بعض الهدوء والاستقرار النسبيين على الحدود بين الدولتين استمر حتى بداية القرن الثامن عشر ويعود السبب وراء ذلك لانشغالهما بمشاكلهما الداخلية وحروبهم في الجهات الأخرى.

٨_ نصت المعاهدة على دخول (درتنك و درنة) في حكومة بغداد مع أن هاتين المنطقتين كانتا ضمن ولاية بغداد، وقد فرط العثمانيون بهما عندما تنازلوا عنهما بموجب معاهدة سراب عام ١٦١٨ وإن اعادتها تصحيح لحالة غير طبيعية على الحدود .

٩_ لقد فرط العثمانيون بأراضي عراقية عندما تنازلوا عن مهروان (مهربادن وتوابعها) للدولة الصفوية، وهذه المنطقة كانت ضمن ولاية شهرزور ،وقد اعترفت الدولة الصفوية بتبعيتها للعراق بموجب معاهدة ١٥٩٠.

ثانيا / الاوضاع العامة في العراق للفترة 1639 – 1704

شهد تاريخ العراق الحديث اثناء فترة الصراع الصفوي العثماني كثرة الاضطرابات السياسية والاقتصادية والفوضى وعدم الاستقرار بسبب الحروب الطويلة بين الدولتين ، كما تميزت الساحة العراقية اثناء تلك الفترة بكثرة تغير الولاة العثمانيين اذ بلغ عددهم اكثر من (تسعة وثلاثون والياً) وقد ادى ذلك الى خلق حالة من عدم الاستقرار ، فضلا عن ذلك فقد تميزت تلك الفترة بكثرة التمردات العشائرية واضطراب حالة الامن في بغداد وانخفاض معدلات الانتاج الزراعي وتدهور الصناعة والتجارة وكثرة الاوبئة والامراض والآفات الزراعية والفيضانات .

ومن ناحية العشائر حدثت اضطرابات عشائرية في منطقة السماوة اذ قام امير الخزاعل مهنا بن علي بفرض سيطرته

علـــى الســـماوة واطرافهـــا فحـــدث نـــزاع وصـــدام مـــع درويـــش محمـــد باشـــا وقتـــل اعـــداد كثيـــرة مـــنهم فـــي هيـــت وبغـــداد والســـماوة وســـيطرة علـــى مدينـــة بغـــداد وقـــام ببنـــاء الاســـوار والمســـاجد ، ولـــم يســـتمر حكـــم محمـــد باشـــا طـــويلا ســـوى ســـتة اشـــهر فخلفـــه حســـين باشـــا عـــام 1644 وغيرهـــا مـــن التمـــردات والصـــراعات الحاصـــلة الـــت دلـــت علـــى ضـــعف الســـلطة المركزيـــة وســـيطرة فيـــالق الانكشـــارية وخـــروجهم عـــن طاعـــة الســـلطان العثمـــاني وهـــذا مـــا ادى الـــى ان يقـــدم ســـكان بغـــداد شـــكوى الـــى البـــاب العـــالي ضـــد الـــوالي موســـى باشـــا لـــذلك اســـتدعاه البـــاب العـــالي وعنـــدما ثبتـــت صـــحة الادعـــاء نفـــذ بـــه حكـــم الاعـــدام عـــام 1648 فخلفـــه فـــي حكـــم بغـــداد احمـــد باشا ، استمر حكم احمد باشا لبغداد حتى سنة 1650 .

امـــا الضـــرائب فقـــد كانـــت باهضـــة بســـبب افـــلاس خزينـــة الدولـــة العثمانيـــة فكانـــت الســـلطة العثمانيـــة عـــن طريـــق الجبـــاة او الملتـــزمين تأخـــذ ضـــريبة ســـنتين مقـــدما مـــن الاهـــالي والولايـــات وهـــذا مـــا ادى تـــدهور القيمـــة الشـــرائية وهجـــرة الكثيـــر مـــن الفلاحـــين مـــن الريـــف الـــى المـــدن وتـــرك مســـاحات واســـعة مـــن الاراضـــي بـــدون زراعـــة فضـــلا عـــن الســـلطة العثمانيـــة لـــم تأخـــذ بنظـــر الاعتبـــار الكوارث الطبيعية والامراض التي مر بها العراق انذاك .

اما عدد سكان بغداد انذاك قدر بخمسة عشرة الف فقط بينما كان خلال الفترة 1570- 1590 ما يقارب تسع وثلاثون الف ما عدا قبائل البدو والرحل واليهود والمسيحيين ، وهذه الاحصائية حسب ما اشار اليها المؤرخ التركي الكبير (عمر لطفي بركان) استنادا الى الوثائق العثمانية المحفوظة في الارشيف العثماني الخاص بتاريخ العراق ، وعلى ما يبدو ان تناقص عدد سكان اهالي بغداد كان بسبب الحروب العثمانية – الصفوية الكثيرة التي شهدها العراق فضلا عن الامراض كالطاعون وغيره وسوء الخدمات الصحية .

ان اهم ما يميز الساحة العراقية انذاك هو عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي بسبب التنقل السريع للولاة من مناصبهم دون قيامهم بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وثقافية لعدم وجود الفرصة الكافية لذلك ، كذلك الكوارث الطبيعية هي الاخرى كانت تعمل على ايجاد نوع من عدم الاستقرار ففي عام 1649 فاض نهر دجلة وكادت ان تغرق بغداد كذلك عام 1690 انتشر مرض الطاعون في بغداد واطرافها وقد رافق ذلك اعمال نهب وسلب وتدهور اقتصادي .

واخيرا اذا اردنا ان نعزي اسباب التبدل السريع في ولاة بغداد فذلك يعود الى القانون العثماني الذ حدد فترة بقاء الوالي في الولاية بسنة واحدة ، كثرة

النزاعات والصراعات بين الولاة انفسهم من اجل الوصول الى الولاية والصدارة مما ادى الى عزل ومقتل الكثير منهم ، عدم كفاءة بعضهم وسوء ادارتهم، واخيرا تمردات وعصيان العشائر، هذه العوامل مجتمعة في سرعة نقل الولاة وبالتالي فقدان الامن وعدم الاستقرار في العراق .

ثالثا / اسرة افراسياب في البصرة ومقدمات الحكم الذاتي

شهدت الدولة العثمانية اثناء حكمها في العراق منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر مرحلة ضعف وتدهور بسبب التمردات الانكشارية والانتفاضات العشائرية وهذا ما ساعد على بروز اسرة جديدة استقلت بحكم البصرة سميت بأسرة افراسياب عام 1596 ، اذ ساعدت الظروف في البصرة على بروز شخصية متنفذة اقتصاديا هو حسين افراسياب الذي تمكن من تأسيس اسرة مستقلة عن الدولة العثمانية في البصرة على ان يدفع الضريبة السنوية للخزينة العثمانية .

نشطت حركة البصرة التجارية في عهد حكم افراسياب بسبب انفتاحها على التجارة الاوربية ، ثم دخلت في مرحلة صراع ما بين افراسياب والشاه الايراني عباس لان الدولة الصفوية اصرت على السيطرة على البصرة لأسباب اقتصادية

وتجارية ثم السيطرة على موانيء الخليج العربي وهذا ما دفع بافراسياب ان يلجأ الى الدولة العثمانية لطلب المساعدة لصد الزحف الايراني عل البصرة ، ومن جانب اخر كان الوجود البرتغالي هو الاخر في البصرة لذلك قصفت السفن البرتغالية القوات الفارسية التي اقتربت من البصرة فتراجعت ، غير ان القوات الفارسية كررت الهجوم للمرة الثانية عام 1625 لكن تعاون العثمانيين مع افراسياب واهالي البصرة ادى الى تراجع وانسحاب القوات الفارسية من اطراف المدينة .

وفي عهد السلطان العثماني مراد الرابع توترت العلاقات بين العثمانيين وافراسياب لان مراد الرابع كان عازما للقضاء على اسرة افراسياب ، وفي عام 1645 قام علي افراسياب بالتحرش بحدود ولاية بغداد قم تحسنت علاقاته مع الدولة الصفوية وذلك لإثارة الدولة العثمانية ، كما تلقى حسين افراسياب مساعدات من امير الحويزة ومن بعض زعماء القبائل كقبائل المنتفك التي كانت تنقم على الدولة العثمانية فوقعت صدامات عسكرية بين القوات العثمانية وقوات افراسياب لذلك استشعرت الدولة العثمانية بخطر وجودهم في البصرة وقررت القضاء عليهم .

اصدر الباب العالي امراً الى الوزير (قره مصطفى باشا) والي بغداد لقيادة حملة عسكرية على البصرة عام 1667 وبالفعل توجهت القوات العثمانية الى البصرة وحاصرتها واصبح حسين باشا افراسياب امام الامر الواقع فهرب الى الحويزة وتم القضاء على حكم ال افراسياب وعادت البصرة تحت السيطرة العثمانية عام 1667 .

واخيرا يمكن القول ان اسرة افراسياب شكلت خطراً ومصدر ازعاج كبير للدولة العثمانية وذلك للأسباب التالية :

1- بسبب موقع البصرة الجغرافي القريب من الدولة الصفوية وبعدها عن الدولة العثمانية فضلا عن تواجد القوات الصفوية في بغداد وعرقلتها للتحركات العثمانية .
2- انشغال الدولة العثمانية بحروبها الطويلة مع الدول الاوربية والدولة الصفوية .
3- طبيعة المنطقة الوعرة وكثرة الاهوار والمستنقعات التي كانت تعرقل تقدم الجيش العثماني باتجاه البصرة .
4- قوة اسرة افراسياب اقتصاديا واستفادتها من النشاط التجاري في البصرة .

5- وقوف بعض القبائل العراقية ولاسيما المنتفك مع افراسياب ضد الدولة العثمانية .

رابعا / حملة نادر خان على العراق 1733 وتوقيع معاهدة القسطنطينية

اتسمت العلاقات العثمانية – الصفوية في العراق بطابع الكراهية والتنازع والقتال وتحين الفرص بين الحين والاخر من الطرفين من اجل السيطرة ، لذلك شهد العراق خلال مرحلة الصراع القائمة بين الطرقين تحولات عسكرية وسياسية مهمة كان ابرزها حملة نادر خان سنة 1733 .

نادر خان شخصية معروفة تنتمي الى قبيلة افشار التركمانية كان يلقب (بنادر قلي) وفيما بعد لقب بنادر خان او نادر شاه تمكن ضمن ظروف معينة سادت في ايران بسب صراعها مع الافغان والروس والدولة العثمانية من فرض سيطرته عليها ، وكان وصوله الى الحكم في ايران بداية لتحولات كبيرة وخطيرة على العراق .

تعد حملة نادر خان 1733 من الاحداث العسكرية المهمة في تاريخ العراق الحديث ، تألفت الحملة من (مائة الف)مقاتل وزحفت باتجاه الحدود العراقية خصوصا كركوك واربيل والموصل ثم سيطرة القوات الايرانية على كركوك .

بعد ذلك توجهت قوات نادر خان باتجاه بغداد واثناء طريقها ارتكبات اعمال وحشية في طوزخورماتو وكركوك ، وامام تحصينات احمد باشا والعثمانيين لبغداد وصلت قوات نادر خان الى اطراف بغداد

ثم فرضت حصار قاسياً على المدينة استمر ما يقارب سبعة اشهر على اثره اشتدت الضائقة الاقتصادية وعمت المجاعة في المدينة .

وفي كركوك وقعت معركة مشهورة بين القوات العثمانية بقيادة (طوبال عثمان) والقوات الصفوية بقيادة نادر خان في 24 تشرين الاول 1733 عرفت بمعركة (ليلان) وكان من ابرز نتائجها انتصار القوات الصفوية انتصارا ساحقا وتكبد القوات العثمانية خسائر بشرية وعسكرية كبيرة ، ومن اهم اسباب خسارة القوات العثمانية في معركة ليلان :

1-توغل الخيالة الفرس الى عمق الجيش العثماني واستسلام الجيش العثماني .

2- قيام طوبال عثمان بتسريح عدد كبير من الجند مما ادى الى وجود خلل في توازن القوى العسكرية بين الطرفين .

3-مقتل طوبال عثمان مما سبب انكسارا لمعنويات الجيش .

وفي المجال السياسي جرت مفاوضات طويلة بين الجانب العثماني والجانب الصفوي برئاسة نادر شاه اذ توصل الطرفان الى توقيع معاهدة سميت بمعاهدة (القسطنطينية) في 17 تشرين الاول 1736 وقد اقرت المعاهدة حدود معاهدة زهاب 1639 بين الدولتين في العراق ونصت على تبادل السفراء بينهما وكان ذلك لأول مرة في تاريخ الدولتان ، فضلا عن امتيازات حصلت عليها الدولة الصفوية بشأن زوارها للعتبات المقدسة وتعيين اميرا للحج منها وتبادل الاسرى .

خامسا /حملة نادر شاه على الموصل عام 1743

تعد حملة نادر شاه على الموصل عام 1743 من الاحداث العسكرية المهمة في تاريخ العراق الحديث ، وجاءت حملة نادر شاه كجزء من حالة الصراع والنزاع الموجودة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في العراق بعد خلافاتهما حول قضية حرية التجارة التامة ، وقضية اكساء الكعبة ، وعدم بيع وشراء اسرى الحرب من كلا الطرفين ، غير ان الدولة العثمانية رفضت تلك المطالب فأتخذ نادر شاه ذلك ذريعة لشن حملته العسكرية الثالثة على العراق .

لذلك جهز نادر شاه حملته العسكرية المعروفة والمؤلفة من(170000) مقاتل في تموز 1743 اتجهت نحو الاراضي العراقية من جهة ديالى_ كركوك – اربيل دون التعرض الى بغداد وذلك لرغبته في قطع طرق المواصلات العثمانية في شمال العراق لان القوات العثمانية كانت تنطلق في حملاتها العسكرية من الموصل وتتجه الى بغداد ثم لعدم التصادم مع المماليك الموجودين في بغداد ، اذ سيطرت قوات نادر شاه على كركوك بعد محاصرتها وقصفها بالمدفعية ولمدة يومين ، بعد ذلك استسلمت المدينة وهرب حاكمها حسين باشا جمال اوغلي وارتكبت قواته المجازر في قلعة كركوك .

بعد ذلك تفرغ نادر شاه لحملته على الموصل وارسل الرسائل الى والي الموصل حسين باشا الجليلي ومفتيها يحيى افندي دعاهم الى الاستسلام قبل فوات الاوان غير ان حسين باشا رد على ذلك بان الموصل واهلها مستعدون لمواجهته ، وهذا ما ازعج نادر شاه كثيرا

لـــذلك قـــرر شـــن هجومـــه والســـيطرة عليهـــا، بعـــدها توجـــه نـــادر شـــاه الـــى اربيل وفرض حصارا عليها فاستسلمت المدينة وفرض سيطرته عليها .

ومـــن اهـــم الاجـــراءات التـــي اتخـــذها حســـين باشـــا الجليلـــي للـــدفاع عـــن الموصل كانت على النحو التالي :

1-توجيـــه دعوتـــه الـــى اهـــالي الموصـــل لأجتمـــاع تـــاريخي فـــي (الجـــامع الاحمر) لحثهم على التمسك بالمدينة والدفاع عنها .

2-تـــرميم وبنـــاء الاســـوار حـــول المدينـــة وســـد الثغـــرات وبنـــاء القـــلاع وحفر الخنادق .

3-اصـــدار الاوامـــر الـــى ســـكان اطـــرف المدينـــة بالتوجـــه داخـــل الموصـــل والاحتماء بأسوارها .

4- طلـــب المســـاعدة مـــن الدولـــة العثمانيـــة لمواجهـــة نـــادر شـــاه وبالفعـــل قـــدم العثمـــانيين بعـــض التعزيـــزات مـــن جهـــة حلـــب بقيـــادة الـــوالي حســـين باشـــا القـــازوقجي لمســـاعدة اهـــالي الموصـــل لكـــن لـــم تكـــن كافية بسبب محاصرة المدينة من قبل قوات نادر شاه .

توجهـــت قـــوات نـــادر شـــاه الـــى الموصـــل فـــي 15 تمـــوز 1743وبعـــدد(10 الاف) جنـــدي وحاصـــرت المدينـــة مـــن الجهـــة الشـــرقية ، ثـــم وصـــلت قـــوة اخـــرى الـــى مشـــارف الموصـــل يقودهـــا نـــادر شـــاه بنفسه مكونة من(150 الف) جندي في26 ايلول 1743 .

اتبـــع نـــادر شـــاه اســـاليب الوحشـــية والقســـوة تمثلـــت بفـــرض حصـــار اقتصـــادي قـــوي علـــى المدينـــة مـــن جميـــع الاتجاهـــات ، ثـــم بـــدأت المدفعيـــة

الايرانيـــة فـــي 28 ايلـــول 1743 بقصـــف المدينـــة وبشـــكل مكثـــف بـــآلاف القـــذائف ولمـــدة ثلاثـــة ايـــام بـــدون انقطـــاع ، فضـــلا عـــن اتبـــاع اســـلوب التعطـــيش والتجويـــع ولمـــدة خمســـة اشـــهر وقيـــام نـــادر شـــاه بتحويـــل مجـــرى نهـــر دجلـــة عـــن المدينـــة وســـد جميـــع الطـــرق الموصـــلة الـــى المدينـــة وقتـــل اعـــداد كبيـــرة مـــن اهلهـــا ، ومـــا رافـــق هـــذه الظـــروف الصـــعبة لأهـــالي الموصـــل فقـــد كـــان عـــدم التكـــافؤ واضـــحا بـــين الطـــرفين مـــن حيـــث العـــدد والعـــدة والامكانيـــات العســـكرية ، غيـــر ان اهـــالي المدينـــة والجليليـــون لـــم يبقـــو مكتـــوفي الايـــدي تجـــاه ذلـــك وامـــام صـــمودهم وبعـــض المســـاعدات العثمانيـــة لـــم يـــتمكن نـــادر شـــاه مـــن دخـــول المدينـــة لـــذلك اصـــدر اوامـــره لقواته بالانسحاب من اطراف المدينة والتوجه الى بغداد .

بعـــد ذلـــك وقعـــت معاهـــدة بـــين الدولـــة العثمانيـــة والدولـــة الصـــفوية فـــي 14 ايلـــول 1746 نصـــت علـــى الاعتـــراف بالحـــدود التـــي رســـمت علـــى اســـاس معاهـــدة زهـــاب 1639 وتســـهيل ســـفر الحجـــاج الايـــرانيين الـــى مكـــة عـــن طريـــق بغـــداد الشـــام ، وتبـــادل الســـفراء بـــين الطـــرفين وعـــدم جـــواز بيـــع الاســـرى ، ثـــم عـــين احمـــد باشـــا ســـفيرا عثمانيـــا لـــدى ايـــران وعـــين الشـــاه مصـــطفى خـــان ســـفيرا لهـــا فـــي اســـطنبول ، امـــا نـــادر شـــاه فقـــد اغتيـــل فـــي 20 حزيران 1747 .

تعليل مهم / كان العراق بمأمن من الخطر الايراني بعد مقتل نادر شاه لان ايران اصبحت مسرحا للفوضى والاضطرابات بين الطامعين على السلطة ، ولم تحاول الدولة العثمانية التدخل في شؤونها الداخلية لأنها كانت تحاول القضاء على النفوذ المملوكي في بغداد بعد وفاة احمد باشا سنة 1747 لذلك ارادت الابتعاد عن التدخل في شؤون

ايران الداخلية ، لأنها ادركت ان تدخلها في شؤون ايران لا يجدو نفعا ، فضلا عن انشغال الدولة العثمانية في حروبها ومشاكلها مع الدول الاوربية ولا سيما روسيا .

سادسا / حكم الجليليون في الموصل 1726- 1834

مرت الدول العثمانية بحالات الضعف والانقسامات الداخلية التي تمثلت ببروز اسر وزعامات محلية وحركات انفصالية عن السلطة المركزية لها في الوطن العربي بعد ان اعلنت استقلالها عن سلطة العثمانيين ولاسيما خلال فترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذا الضعف والانقسام لم يكن من فراغ بل كان وليداً لمجموعة من العوامل كأتساع رقعتها وعدم قدرتها على ادارة اقاليمها وولاياتها ثم سوء ادارة الولاة العثمانيين وافلاس الخزينة ثم فساد فيالق الانكشارية واخيراً منافسة الدول الاوربية عليها، ومن الامثلة البارزة على ذلك في العراق:

1- المماليك في بغداد للفترة 1704- 1831

2- الجليليون في الموصل للفترة 1726 – 1833

الجليليون في الموصل1726-1833:

الاسرة الجليلة من الاسر العربية المهمة التي ادت دورا بارزا في تاريخ العراق الحديث ، انتقلوا من ديار بكر الى الموصل للتجارة في عام 1591 ، ولقبو بهذه التسمية نسبة الى جدهم الأكبر عبد الجليل الذي توفي عام 1681 وخلف من بعده سبعة اولاد اكبرهم اسماعيل الجليلي الذي برز كشخصية مهمة ادت دورا بارزا في تاريخ مدينة الموصل .

كانت الموصل ولاية عثمانية قائمة بحد ذاتها كالبصرة وبغداد ، وكان الباب العالي هو الذي يعين والياً عليها لكن تعرض الولاية الى اضطرابات ومشاكل داخلية بسبب ضعف سلطة الباشوات مما فسح المجال لظروف جديدة تمثلت بسيطرة قوى واسر محلية على المدينة .

وفي عام 1726 عندما دارت المعارك بين العثمانيين والصفويين قدم الجليليون المساعدات للجيش العثماني فكافأتهم الدولة العثمانية بتعيين اسماعيل بن عبد الجليل لباشوية الموصل فكان اول من تولى الحكم في الموصل من الاسرة الجليلة لكن لم يدم حكمه في الموصل طويلا سوى سنة واحدة فعزل ثم جاء من بعده حسين باشا الدرندي عام 1727 الذي حكم عام واحد ، ثم من بعده محمد باشا رشوان حكم مدة عامين ، ثم عزل فأعقبه احد افراد الاسرة الجليلة هو حسين باشا الجليلي لكنه عزل بعد عشرة ايام من تعيينه بسبب خوف وحذر الدولة العثمانية من تعاظم نفوذ الاسرة الجليلة في الموصل . قدر لحسين باشا الجليلي فيما بعد ان يؤدي دورا مهما في تاريخ الموصل بعد اعادة تعيينه والياً عليها عام 1732 وذلك بسبب ظهور خطر نادر شاه الايراني على العراق ونظرا لما يتمتع به حسين باشا من قدرة عسكرية وقبول جماهيري واسع دفع بالدولة العثمانية لإعادة تعيينه .

ونظـــرا للجهـــود العســـكرية الكبيـــرة التـــي قـــدمها حســـين باشـــا الجليلـــي للـــدفاع عـــن الموصـــل ضـــد الهجمـــات الايرانيـــة المتعـــددة فقـــد لقـــب ببطل الدفاع والوزير الكبير .

ادى الجليليـــون دورا مهمـــا فـــي الـــدفاع عـــن الموصـــل مـــن الاخطـــار الصـــفوية ووقفـــوا الـــى جانـــب العثمـــانيين وخصوصـــا حملـــة نـــادر شـــاه المعروفـــة علـــى الموصـــل ســـنة 1743 الـــذي نجـــح فـــي فـــك الحصـــار المفـــروض علـــى المدينـــة مـــن قبـــل نـــادر شـــاه ، وتوجـــد مفردة مستقلة بذلك نتكلم عنها لاحقاً .

لقـــد تـــزامن حكـــم حســـين باشـــا الجليلـــي فـــي الموصـــل مـــع حكـــم المماليـــك فـــي بغـــداد لا ســـيما فتـــرة حكـــم احمـــد باشـــا وقـــد مـــرت العلاقـــات بـــين الجليليـــون والمماليـــك بعـــدة مراحـــل منهـــا الايجابيـــة والتطـــور والتعـــاون بـــين الطـــرفين ضـــد الاخطـــار الخارجيـــة ، لكـــن رغبـــة احمـــد باشـــا المملـــوكي بتحويـــل تبعيـــة الموصـــل الـــى بغـــداد ادى توتر العلاقة بين الطرفين ثم وقوع خلافات قوية .

شـــهد حكـــم الجليليـــون فـــي الموصـــل احـــداث وتطـــورات مهمـــة منهـــا انتشـــار المـــذهب الكـــاثوليكي المســـيحي مـــن خـــلال الارســـاليات التبشـــيرية المتعـــددة ، ثـــم بـــروز حركـــة دينيـــة اصـــلاحية علـــى يـــد عـــدد من العلماء والشيوخ في المدينة .

ومـــن الناحيـــة الاقتصـــادية والتجاريـــة فقـــد تطـــورت علاقـــات الموصـــل الاقتصـــادية مـــع غيرهـــا مـــن الاقـــاليم والســـناجق المجـــاورة لهـــا ، كمـــا

اشـــتهرت بالمصـــنوعات والمنســـوجات المطـــرزة المختلفـــة والســـجاد الحريري .

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر ازداد نفوذ داود باشا والي بغداد في الموصل وذلك بسبب اشتداد الصراع المحلي في الموصل بين افراد الاسرة الجليلة على النفوذ والزعامة ، ثم الاوضاع الاقتصادية وانتشار الامراض والاوبئة فحلت المجاعة والضيق الاقتصادي ثم قيام ثورة شعبية ضد الجليليون عام 1826 مما اضطر على اثرها الوالي الجليلي يحيى باشا الى الهروب من الموصل الى بغداد ثم سيطر داود باشا على الموصل ، وفي عام 1832 عاد يحيى الجليلي الى حكم الموصل ، وبعدها تمكنت الدولة العثمانية علي يد السلطان محمود الثاني من القضاء على حكم الاسرة الجليلة سنة 1833 وقد عادت الموصل من ذلك الحين تحت الحكم العثماني المباشر .

سابعا / حكم المماليك في بغداد 1704- 1831

خضـــع العـــراق كغيـــره مـــن الاقطـــار العربيـــة للحكـــم العثمـــاني مـــا يقـــارب اربعـــة قـــرون مـــن الـــزمن وبـــالرغم مـــن العمـــل المؤسســـاتي الـــذي تمثـــل بـــالإدارة العثمانيـــة القويـــة والحنكـــة العســـكرية العثمانيـــة لكـــن هـــذا لا يعنـــي ان تـــاريخ العثمـــانيين فـــي العـــراق تميـــز بالإيجابيـــات فقـــط بـــل تخللتـــه الكثيـــر مـــن الامـــور الســـلبية وحـــالات الضـــعف والانقســـامات الداخليـــة التـــي تمثلـــت ببـــروز اســـر وزعامـــات محليـــة وحركـــات انفصـــالية عـــن الدولـــة العثمانيـــة فـــي الـــوطن العربـــي بعـــد ان اعلنـــت اســـتقلالها عـــن ســـلطة العثمـــانيين ولاســـيما خـــلال فتـــرة القـــرنين الثـــامن عشـــر والتاســـع عشـــر وهـــذا الضـــعف والانقســـام لـــم يكـــن مـــن فـــراغ بـــل كـــان وليـــداً لمجموعـــة مـــن العوامـــل كأتســـاع رقعتهـــا

وعـــدم قـــدرتها علـــى ادارة اقاليمهـــا وولاياتهـــا ثـــم ســـوء ادارة الـــولاة العثمـــانيين وفساد فيالق الانكشارية واخيراً تكالب الدول الاوربية عليها .

3- المماليك في بغداد للفترة 1704- 1831

4- الجليليون في الموصل للفترة 1726 – 1834

5- المماليك في مصر للفترة 1750 – 1798

6- آل ظاهر العمر في فلسطين 1737 – 1799

7- آل معن في لبنان 1635 -1861

8- آل العظم في سوريا 1709 – 1800

9- الاسرة القرمانلية في طرابلس 1711- 1835

10- الاسرة الحسينية في تونس 1705 – 1881

المماليك في العراق 1704 – 1831:

مصـــطلح المماليـــك الجراكســـة او الشراكســـة اطلقـــه اليونـــانيون علـــى القبائـــل والشـــعوب التـــي كانـــت تســـكن منـــاطق القوقـــاز (تركســـتان ، بـــلاد الكـــرج ، بـــلاد الـــروم ، شـــرق اســـيا) وهـــي منـــاطق علـــى مقربـــة مـــن روســـيا تقـــع مـــا بـــين البحـــر الاســـود وبحـــر قـــزوين امـــا ديـــانتهم فالغالبية مسلمين .

عنـــدما احتلـــت روســـيا منـــاطق القوقـــاز توجـــه المماليـــك باتجـــاه الـــوطن العربـــي ودخلـــوا بـــلاد الشـــام ومصـــر فوقعـــت الخلافـــات والمشـــاكل بـــين المماليـــك والعثمـــانيين ودارت معـــارك عســـكرية بـــين الطـــرفين فـــي ســـوري معركـــة مـــرج دابـــق 1516 وفـــي مصـــر معركـــة الريدانيـــة

1517 وبعد خسارتهم مع العثمانيين توجه قسم كبير منهم الى العراق ودخلوا في الوظائف الحكومية والمناصب المهمة حتى سنحت لهم الفرصة بحكم بغداد .

أدت اسرة المماليك دورا مهما في تاريخ العراق الحديث ويعد حسن باشا هو المؤسس الحقيقي لأسرة المماليك في العراق للفترة 1704- 1723 ، وقد قدر لها ان تصل الى سلطة الحكم في العراق سنة 1749، برزت قوة المماليك بعد ضعف الدولة العثمانية وفساد القوات الانكشارية .

ومن ابرز حكام المماليك في العراق :

1-حسن باشا 1704-1723

2-احمد حسن باشا 1723- 1747

3-سليمان باشا (ابو ليلة) 1750 – 1762

4-عمر باشا 1764- 1775

5- عبد الله باشا 1776 – 1778

6-سليمان باشا الكبير 1780 – 1802

7-سليمان باشا الصغير 1807- 1810

8-عبد الله باشا 1810 – 1813

9-داود باشا 1817- 1831

من حكام المماليك البارزين في تاريخ العراق هو سليمان باشا المعروف بأبو ليلة للفترة 1750- 1762 وقد لقب بهذا

اللقب لأنه كان يشن الهجمات العسكرية ليلاً ضد عشائر الجنوب العراقية المتمردة ضده وكذلك لقب بسليمان الاسد وقد بلغ نفوذ المماليك في عهده القمة وادخل الكثير منهم الوظائف المهمة والمناصب العليا .

ثم عهد عمر باشا 1775 – 1808 والذي تميز بظاهرتين هما : كثرة وتعدد الغزوات الايرانية على العراق : والثانية وضوح المصالح البريطانية في العراق .

واخيراً يعد داود باشا اخر حكام المماليك في العراق 1817 –1831 الذي استطاع ان يصل الى حكم العراق بعد ان خاض سلسلة من الصراعات مع منافسيه ، ومن اهم المشاكل التي واجهها داود باشا في حكمه للعراق : التمردات العشائرية ضد المماليك كعشائر بني تميم والدليم وشمر وجربة ، ثم الخطر الايراني المتمثل بكثرة الغزوات الايرانية للعراق في تلك الفترة ، تزايد النفوذ البريطاني في العراق من الناحية السياسية والتجارية والاقتصادية عن طريق الملاحة النهرية وفتح الوكالات التجارية ذات التغلغل الاستعماري ، توقيع الدولة العثمانية المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الاوربية ومنحها امتيازات في داخل الوطن العربي ، وبعد ذلك تمكنت الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني من القضاء على حكم المماليك في العراق بشكل نهائي وذلك في ايلول 1831 لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ العراق الحديث .

ثامنا / المصالح الاوربية في العراق خلال القرن السابع عشر

تنوعت المصالح الاوربية في العراق فمنها ما كان سياسياً وعسكرياً ومنها ما كان اقتصادياً تجارياً وذلك يعود الى موقع العراق الجغرافي والاستراتيجي الذي يمثل حلقة الوصل ما بين الشرق والغرب بإطلالته على بوابة الخليج العربي ، كذلك وفرة المواد الاولية الرخيصة ولا سيما الزراعية والحيوانية ، وعلى اساس ذلك اصبح العراق ساحة للتنافس الدولي على مر تاريخه .

فقد شهد القرن السابع عشر تزايد النفوذ والصراع الأوربي حول العراق ولاسيما الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين لكن هذه المحاضرة تقتصر فقط على النشاط الهولندي لأن هولندا سبقت غيرها من الدول الاوربية في نشاطها التجاري في البصرة ، ولاحقا يتم تتبع نشاط الدول الاوربية الاخرى .

وكانت البداية الاولى للنفوذ الهولندي متمثلاً بشركة الهند الشرقية الهولندية وهو اكثر القوى الاوربية نفوذاً في الخليج العربي ، فوصلت اول سفينة هولندية في البصرة عام 1639 ، غير انها كانت مستأجرة من قبل شاه ايران ، ثم قيام مدير المؤسسات التجارية الهولندية في الخليج العربي (ووليبراند جيلنسن دي يونغ) بأرسال عدد من السفن التجارية الى البصرة لتقصي ومعرفة الامكانيات التجارية فيها ، فأزعج ذلك بريطانيا كثيرا ، مما ادى الى قيام السفن البريطانية بأطلاق النار على السفن الهولندية وتدمير احدى السفن الهولندية في البصرة لذلك تراجع النفوذ الهولندي لعدة سنوات ، لكن بعد عام 1651 تكررت الحملات التجارية الهولندية السنوية في البصرة وتحت اشراف

ومسؤولية ادارة بندر عباس وكانت المتاجرة بالبهارات والسكر والانسجة القطنية والصوفية والقصدير والاواني الفخارية والخزفية الصينية .

وفي نهاية القرن السابع عشر تدهورت تجارة البصرة ثم توقفت ويرجع ذلك الى الحروب التي تعرضت لها المنطقة فاصبح من الصعوبة على الهولنديين مواصلة نشاطهم التجاري في البصرة لذلك تراجع نفوذهم ، وفي بداية القرن الثامن عشر اعاد الهولنديين نشاطهم التجاري في البصرة .

لقد حرص الهولنديون في البصرة على المحافظة على الحياد وعدم التدخل بين السلطات العثمانية في المدينة وبين القبائل العربية ، وقد سببت هذه الحالة بين الحين والآخر مشاكل مع العثمانيين الذين اتهموا في بعض الاحيان الهولنديين بالتعاون مع الثوار العرب .

توتر العلاقة ما بين الهولنديين والعثمانيين في البصرة ؟ وذلك لان الهولنديين قد التزموا بسياسة الحياد وعدم التدخل بين العثمانيين والقبائل العربية في البصره وهذا ما فسره العثمانيون بأنه تعاون ما بين الهولنديين وتلك القبائل .

وقد تزايدت اهمية التجارة الهولندية مع البصرة وتمثلت تلك الاهمية بالنسبة للهولنديين من اجل احراز تحقيق كامل للامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للأوربيين منذ عام 1612 في البصرة .

غير ان النشاط الهولندي لم يستمر طويلا في البصرة ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وقعت الخلافات والمشاكل بين المقيمية الهولندية في البصرة والموظفين العثمانيين وقد انتهت الازمة بغلق المقيمية الهولندية في البصرة عام 1753 .

تاسعا / النفوذ البريطاني في العراق و شركة الهند الشرقية البريطانية

كما ذكرنا سابقاً ان العراق يتميز بموقع جغرافي واستراتيجي مهم يمثل حلقة الوصل ما بين الشرق والغرب بسبب إطلالته على بوابة الخليج العربي ، كذلك وفرة المواد الاولية الرخيصة ولا سيما الزراعية والحيوانية ، وعلى اساس ذلك اصبح العراق ساحة للتنافس الدولي ولاسيما الاوربي على مر تاريخه .

يرجع تاريخ النفوذ والتغلغل البريطاني في العراق الى النصف الاول من القرن السابع عشر، اذ تنافست بريطانيا مع القوى الاوربية الاخرى كالهولنديين والبرتغاليين والفرنسيين وكذلك مع القوى المحلية الاخرى كالعرب والعثمانيين والصفويين ، وقد نجح البريطانيون بإقامة علاقات تجارية مباشرة مع الدولة الصفوية في جنوب العراق منذ عام 1600 .

بذلت شركة الهند الشرقية البريطانية جهود واسعة وكبيرة في ترسيخ السيطرة التجارية على العراق ، وهي الشركة التي تأسست سنة 1600 لتكون اداة للتوسع الاستعماري في المحيط الهندي والخليج العربي والمتاجرة مع المناطق المجاورة مع الهند وخصوصا العراق ، وبالفعل كانت احدى العوامل المهمة التي ادت الى التقليل من شأن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي والعراق .

اخـذت بريطانيـا تبـدي اهتمامهـا بـالعراق مـن الناحيـة السياسـية والعسـكرية والاقتصـادية والتجاريـة وذلـك لحمايـة مصـالحها فـي الهنـد وتـأمين طـرق مواصـلاتها التجاريـة ، كـذلك ركـزت علـى شـراء المـواد الاوليـة الرخيصـة كـالجلود والاصـواف وعـرق السـوس والحبـوب والتمـور، كمـا عملـت علـى ربـط الاقتصـاد العراقـي بالرأسـمال الاجنبـي ، لـذلك اسسـت عـدد مـن الشـركات التجاريـة والحمـلات الاسـتطلاعية بحجـة الملاحـة فـي نهـري دجلـة والفـرات امثـال شـركة لـنج وشـركة كيـري مكنـزي وشـركة انـدريوز وغيرهـا ، التـي لـم يقتصـر عملهـا ووجودهـا علـى النشـاط التجـاري ، بـل كـان يمثـل تغلغـلا اسـتعماريا لـه ابعـاده السياسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية ، اذ تمكـن البريطـانيون مـن كسـب الكثيـر مـن شـيوخ العشـائر والملاكـين والتجـار والـولاة لتحقيـق التعـاون معهـم مـن خـلال مـنحهم المكاسـب الشخصـية كالمناصـب والامـوال ، فقـد ذكـرت المصـادر التاريخيـة ان المقـيم البريطـاني فـي البصـرة(المسـتر لاتـوش) ارسـل مقـدارا مـن المـال الـى السـفير البريطـاني فـي الاسـتانة فـي سـبيل بقـاء سـليمان باشـا الكبيـر المملـوكي علـى باشوية بغداد .

عملـت شـركة الهنـد الشـرقية البريطانيـة علـى منافسـة الشـركات الاخـرى فـي العـراق كشـركة الهنـد الشـرقية الهولنديـة

وشـــركة الهنـــد الشـــرقية الفرنســـية التـــي تأسســـت ســـنة 1644، وبعـــد صـــراع طويـــل تمكنـــت بريطانيـــا ان تحـــل محـــل تلـــك القـــوى وان تبسط سيطرتها على العراق مع ازدهار نشاطها التجاري .

بعـــض المصـــادر التاريخيـــة اشـــارت الـــى ان اول ســـفينة بريطانيـــة وصـــلت الـــى البصـــرة تعـــود الـــى ســـنة 1635 ، كمـــا اســـست شـــركة الهنـــد الشـــرقية البريطانيـــة اول وكالـــة او مركـــز تجـــاري لهـــا فـــي البصـــرة ســـنة 1643 ، كمـــا عينـــت فيمـــا بعـــد وكـــيلاً او مـــديراً لهـــذا المركـــز ســـنة 1763 فأصـــبحت لـــه صـــفة سياســـية تجاريـــة ، وعـــدت البصـــرة مركـــزاً تجاريـــاً لتوزيـــع الســـلع والبضـــائع البريطانيـــة فـــي العـــراق وايـــران ، وهكـــذا اصـــبح العـــراق ليســـت فقـــط ســـوقا للبضـــائع البريطانيـــة بـــل طريقـــا تمـــر بـــه البضـــائع التـــي تســـتوردها ايران او تصدرها .

اســـتغلت بريطانيـــا خـــلال نشـــاطها التجـــاري الصـــادرات العراقيـــة المتمثلـــة بـــالحبوب كـــالقمح والـــرز والـــذرة والتمـــور والقطـــن وكـــذلك الماشـــية والخيـــول والاصـــواف والجلـــود وغيرهـــا ، كـــذلك البضـــائع التـــي يســـتوردها العـــراق مـــن بريطانيـــا كالمنســـوجات والاصـــباغ والمعـــادن والتوابـــل والاخشـــاب ، وبـــذلك ســـيطرت بريطانيـــا عـــن طريـــق شـــركاتها علـــى تجـــارة العـــراق الخارجيـــة ، اذ بلـــغ عـــدد

الشـركات البريطانيـة فـي العـراق فـي نهايـة القـرن التاسـع عشـر مـا يقارب 16 شركة .

مـن جانـب اخـر اهتمـت بريطانيـا بفـتح وكالـة تجاريـة لهـا فـي بغـداد سـنة 1755 فتوطـت الصـلات التجاريـة مـا بـين بغـداد والبصـرة عـن طريـق الـوكلاء والتجـار المتعـاونين مـع بريطانيـا، اذ منحـت بريطانيـا قنصـلها فـي بغـداد سـنة 1802 كافـة الصـلاحيات ، و سـرعان مـا تحولـت هـذه المراكـز التجاريـة فـي العـراق الـى دوائـر سياسـية صـرفة و بحتـة تـدعم النفـوذ البريطـاني السياسـي والعسـكري فـي العـراق ، وتحـول وكـلاء شـركة الهنـد الشـرقية البريطانيـة فـي سـنة 1822 الـى مقيمـين سياسـيين فـي العراق .

وفيما بعد ترسخ النفوذ البريطاني في العراق وازدادت اهمية العراق الاستراتيجية بالنسبة للسياسة البريطانية كونه الطريق الحيوي لديمومة مواصلاتها مع الهند لذلك باشرت بأرسال العديد من الحملات والبعثات الى العراق لدراسة امكانية نهري دجلة والفرات الملاحية كحملة الكابتن فرنسيس جسني سنة 1834 اولى البعثات البريطانية لدراسة امكانية نهر الفرات الملاحية ، والتي سارت محاذية للفرات من عانة الى بغداد ، وفي دجلة من بغداد الى البصرة ، لذلك بعد انجاز مهمتها والاطلاع على خرائط العراق

الجغرافية والتاريخية وضعت تقريرا مفصلا عن احوال العراق وامكانياته من جميع الجوانب ساعد بريطانيا فيما بعد على احتلالها للعراق سنة 1914 .

عاشرا / النفوذ الفرنسي في العراق وشركة الهند الشرقية الفرنسية

شهدت الفترة الممتدة ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر تنافس شديد ما بين الدول الاوربية على العراق والسبب في ذلك النفوذ والتنافس واضحاً تمثل بأهمية العراق الاستراتيجية في الخليج العربي وعلى طريق المواصلات التجارية الى الهند .

كانت فرنسا كغيرها من الدول الاوربية التي اولت العراق اهتماما خاصاً وكبيرا من الناحية السياسية والاقتصادية والتجارية ، اذ مارست شركة الهند الشرقية الفرنسية التي تأسست سنة 1644 نشاطها التجاري في العراق من خلال فتح وكالت تجارية لها في البصرة سنة 1765 وتعيين قنصلاً عاماً لها ، وارسلت فرنسا عدة بعثات الى العراق لجمع المعلومات بحجة التنقيب والسياحة ، كان اهما بعثة الرحالة الفرنسي(روسو) سنة 1809 الذي مكث في مقر القنصلية الفرنسية في بغداد .

وفي مجال التنافس البريطاني- الفرنسي على مناطق النفوذ ولا سيما بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798

اصبح العراق ساحة خصبة لهذا الصراع ، اذ قامت بريطانيا بفتح مقيمية في بغداد سنة 1798 تولى مهمتها (هارفورد جونز) مهمته نقل المعلومات ومراقبة النشاط الفرنسي ، وفي سنة 1802 حصل السفير البريطاني في الاستانة على مرسوم عثماني نص على تعيين (هارفورد جونز) قنصلا بريطانيا في بغداد مع تمتعه بالحصانة الدبلوماسية .

اما فرنسا فهي كذلك بذلت جهودها عن طريق سفيرها في الاستانة (هوارس سباستياني) لتحقيق نفوذها في العراق ومواجهة النفوذ البريطاني ، وقد تبين ذلك واضحا من خلال دعمها لسليمان باشا الصغير وترشيحه لباشوية بغداد سنة 1808 وكان سليمان مدركاً ان فرنسا تهدف من وراء سياستها هذه مواجهة النفوذ البريطاني في المنطقة .

لم يستمر النفوذ الفرنسي طويلاً في العراق ، اذ تفوقت كفة بريطانيا ونشاطها التجاري بالرغم من المشاكل التي واجهتها بريطانيا خلال فترة اخر حكام المماليك في العراق وهي فترة داود باشا 1817 – 1831 التي شهدت صراعاً قوياً بين حكومة المماليك في بغداد والنفوذ البريطاني والذي انتهى لصالح البريطانيين بعد ان وقع داود باشا اتفاقية مع بريطانيا بتاريخ 5 ايلول 1823 والتي دللت على وضوح المصالح البريطانية في العراق .

احدى عشر / تسوية مشاكل الحدود في العراق بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية

مرت العلاقات العثمانية – الصفوية في العراق خلال القرن التاسع عشر بسلسلة من الحروب والمعارك الطويلة ثم اعقبتها سلسلة من المعاهدات لتسوية المشاكل الحدودية بين الطرفين وانهاء حالة الحرب خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ومنها :

1-معاهدة ارضروم الاولى 1823

2-معاهدة ارضروم الثانية 1847

ارضروم هي مدينة تقع في شمال شرق تركيا حاليا ومعناها ارض الروم ، جرت فيها المفاوضات بين الجانبين العثماني والصفوي ثم التوقيع على تلك المعاهدات لذلك سميت بهذه التسميات .

وبخصوص معاهدة ارضروم الاولى فقد جرت المفاوضات بين الجانبين في مدينة ارضروم ، اذ مثل الجانب الايراني عباس ميرزا ومثل الجانب العثماني رؤوف باشا وذلك في 25 حزيران 1823 ثم تمت المصادقة على المعاهدة من قبل الطرفين في 23 آب 1823 .

تضمنت المعاهدة مقدمة وسبع مواد وخاتمة ، وقد ارتكزت على بنود المعاهدات السابقة ولا سيما معاهدة زهاب 1639 ، تضمنت المقدمة :

1- تعهد الطرفان بعدم القيام بأي عمل يؤدي الى خلق مشكلة بينهما .

2–تعهد الدولة الصفوية بإعادة جميع الاراضي والقلاع التي سيطرت عليها الى الدولة العثمانية خلال مدة شهرين .

3–تتعهد الدولتان بإطلاق سراح اسرى الدولة الاخرى متحملة نفقات وصولهم الى بلادهم .

اما بنود المعاهدة فقد نصت على الامور التالية :

اولاً : التزام الطرفين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الاخر .

ثانياً : تعهد الدولة العثمانية بمراعاة الزوار والحجاج الايرانيين في الاراضي العثمانية من حيث الرسوم والضرائب وغيرها .

ثالثاً : التزام الطرفان بتأمين الحدود مع الطرف الاخر ومنع حالات النهب والتخريب التي تقوم بها القبائل على الحدود .

رابعاً : امتناع قبول الهاربين من ابناء الطرفين .

خامساً: تعهد الدولة العثمانية بإعادة اموال التجار الايرانيين المحجوزة لديها .

سادساً: موافقة الدولة العثمانية على اعطاء ميراث واملاك الايرانيين الساكنين في الاراضي العثمانية وعند عودتهم الى ديارهم .

سابعاً: تتعلق بأمور السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي بين الطرفين وارسال السفراء مع تحديد مدة بقائهم بثلاث سنوات .

اما الخاتمة فقد تضمنت عدم مطالبة اي طرف من الاطراف بالخسائر الحربية السابقة وفتح مجال التفاهم بالأسلوب الدبلوماسي بين الطرفين .

واخيرا يمكن القول ان معاهدة ارضروم الاولى لم تضع حداً نهائياً للخلافات بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية ؟ وذلك لأن بنودها لم تكن موضوعة وفق خطة علمية واقعية ولاسيما ما يتعلق بمشاكل حدود الدولتين وعدم القدرة على ضبطها ثم عدم السيطرة على هجمات العشائر وهذا ما أدى الى استمرار النزاع بين الطرفين .

2-معاهدة ارضروم الثانية 1847:

اختلفت معاهدة ارضروم الثانية عن المعاهدات العثمانية – الصفوية السابقة التي وقعت بشأن تسوية الحدود بينهما في العراق وذلك بسبب اشتراك كل من بريطانيا وروسيا بالتوقيع عليها ولأنها اول معاهدة حدودية بين الطرفين يذكر فيها شط العرب .

وقعت معاهدة ارضروم الثانية في 31 اذار 1847 بين الجانب العثماني والجانب الصفوي وبحضور المندوبين البريطاني والروسي وقد نصت على البنود التالية :

1- تعهد الدولة العثمانية رسميا بالسماح للدولة الصفوية بفرض سيطرتها على المحمرة والمرسي وعبادان والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب .

اثنتا عشر / حركة التنظيمات والاصلاحات العثمانية 2-

3- عهد التنظيمات: هو الاسم الذي اطلق على حركة الاصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد (1839 -1861) وقد اقترن اسم التنظيمات بمرسومين سلطانيين اصلاحيين ، الاول: خط شريف كولخانه في عام 1839 والثاني: خط شريف همايون 1856 وقد صدر كلاهما في عهد السلطان عبد المجيد ، تلك التنظيمات التي شرعت الدولة العثمانية معظم قوانينها وانظمتها الداخلية بالاقتباس والاعتماد على النظم والقوانين الاوربية وهذا ما ادى الى ان تتحول الدولة العثمانية في نهاية عهد التنظيمات الى دولة حديثة اقتربت من الدولة العلمانية .

4- اما بالنسبة للعلاقة ما بين تلك التنظيمات والادارة العثمانية في العراق فكانت انعكاساتها واضحة على ولاية بغداد وذلك نظراً لما لهذه التشريعات والقوانين من اثر بالغ في سير الادارة الحكومية في الولاية واجهزتها وتشكيلاتها .

5- خـــط شـــريف كولخانـــة : هـــو اول مرســـوم اصـــلاحي أو اول خطـــوة مـــن خطـــوات الاصـــلاح العثمـــاني فـــي عهـــد التنظيمـــات ، صـــدر فـــي 3 تشـــرين الثـــاني 1839 فـــي عهـــد الســـلطان عبـــد المجيـــد وبحضـــور كبـــار رجـــال الدولـــة وعلمـــاء الـــدين وســـفراء الـــدول الاجنبيـــة ورؤســـاء الاقليـــات الدينيـــة فـــي كولخانـــة (قصـــر الطـــوب) مقـــر الســـلطان العثماني .

6- تضـــمن مرســـوم شـــريف كولخانـــة مجموعـــة اصـــلاحات وقـــوانين مهمـــة كالحفـــاظ علـــى ارواح واعـــراض وامـــوال المـــواطنين ، وتنظـــيم القضـــاء والادارة والضـــرائب وقـــانون الخدمـــة العســـكرية ، والمســـاواة بـــين المـــواطنين وعـــد التفريـــق بيـــنهم مـــن حيـــث المعتقـــدات الدينيـــة ، وتحســـين مستويات الناس المعاشية .

7- تعليـــل مهـــم / وصـــف خـــط شـــريف كولخانـــة بأنـــه مرســـوم تغريبـــي علمـــاني ؟ وذلـــك لأن بموجبـــه تقـــرر معاملـــة المســـلمين وغيـــر المســـلمين بمســـاواة تامـــة ، ثـــم ســـاعد فيمـــا بعـــد علـــى الأخـــذ والاقتبـــاس مـــن الانظمـــة والقـــوانين الاوربية ولا سيما الفرنسية منها .

8- خـــط شـــريف همـــايون : هـــو المرســـوم الاصـــلاحي العثمـــاني الثـــاني ، صـــدر فـــي 8 شـــباط 1856 فـــي عهـــد الســـلطان عبـــد المجيـــد وبحضـــور كبـــار رجـــال الدولـــة ورؤســـاء الطوائـــف الدينيـــة فـــي الدولـــة العثمانيـــة ، وقـــد تضـــمن بنـــوداً اكـــدت علـــى مـــا جـــاء بـــه مرســـوم شـــريف كولخانـــة ولاســـيما مفهـــوم المســـاواة وعـــدم التمييـــز بـــين الموطنين بسبب الدين .

9- واخيراً يمكن القول ان حركة التنظيمات التي تمثلت بمرسومي شريف كولخانة وهمايون قد سارت عليها الدولة العثمانية حتى وصول السلطان عبد الحميد الثاني(1876-1909) الى حكم الدولة العثمانية ثم اعلانه للدستور سنة 1876 .

2- تنازل الدولة الصفوية عن كل ادعاءاتها في منطقة شهرزور .

3- ترك بعض المناطق مثل المحمرة على حالها لحين تسويتها في معاهدات لاحقة

4- بخصوص ادارة الحدود وضبطها فقد تقرر توجيه عقوبات شديدة على من يخالف القوانين .

ومن الملاحظات والانتقادات التي وجهت الى معاهدة ارضروم الثانية :

1- تنازل الدولة العثمانية عن مساحات واسعة من اراضيها الى الدولة الصفوية تسكنها قبائل عربية مثل قبائل كعب .

2-ان معاهدة ارضروم الثانية لم تنهي النزاع بين الطرفين وبقيت المشاكل الحدودية قائمة واستمرت الفوضى والاضطرابات على الحدود .

بروتوكول طهران 1911 : بعد الوساطة البريطانية الروسية تم التوقيع في 12 كانون الاول 1911 على بروتوكول طهران بين وزير الخارجية الايراني والسفير العثماني في ايران وقد تضمن :

1-وضع لجنة مؤلفة من مندوبي الحكومتين تجتمع في الاستانة باسرع وقت ممكن تكلف بمهمة تخطيط الحدود

2-اقرار شرعية معاهدة ارضروم الثانية

3- فض الخلافات القائمة عن طريق محكمة التحكيم الدولي في لاهاي

4-ضرورة الحفاظ على الوضع الراهن

وبموجب هذا البروتوكول اجتمعت لجنة تقرير الحدود في الاستانة لتحديد الحدود في 25 اذار 1912 .

بروتوكول الاستانة 1913 : وقع بروتوكول الاستانة في 4 تشرين الثاني 1913 وبحضور مندوبو الدول الاربعة العثمانية – الايرانية – روسيا القيصرية –بريطانيا وقد نص على تنازل الدولة العثمانية عن جزء من شط العرب الى ايران . غير ان تلك المعاهدات لم تحسم الخلاف القائم بين الطرفين بشكل نهائي .

ثلاثة عشر / العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩ _ ١٨٧٢

شهد العراق حركة اصلاحية وعمرانية واضحة في عهد الوالي مدحت باشا الذي تولى حكم العراق (١٨٦٩_ ١٨٧٢) لذلك يعد مدحت باشا (١٨٢٢_ ١٨٨٣) من رواد الحركة الإصلاحية والدستورية في الإمبراطورية العثمانية وإليه يعزى صدور الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ ، وقبل تعيينه والياً على بغداد في ٣٠/ نيسان / ١٨٦٩ كان والياً على ولاية الدانوب للمدة (١٨٦٠ _ ١٨٦٨) وأظهر قدرات إدارية ممتازة في المناصب التي تقلدها ، وجاء في الفرمان المتعلق بتعيينه بان بغداد هي أهم ولايات الإمبراطورية العثمانية وإن تربتها وموقعها يجعلانها تستحق كل انواع التقدم وعليه فأن أعز رغبة للسلطان ان يري الولاية بالتقدم والتطور وقد اعترف الفرمان أنه بدون وجود حاكم فإن التقدم المنشود لا يمكن تحقيقه، وأن مدحت باشا هو الشخص الذي سيحقق أهداف السلطان، لذلك منح مدحت باشا السلطتين المدنية والعسكرية في ولاية بغداد، كما زود بصلاحيات واسعة لتنفيذ اصلاحاته في ولايتي الموصل والبصرة ، وقد تجلت اجراءاته في ادخال الاصلاحات الإدارية والإقتصادية ولاسيما تطبيق قانوني الاراضي والولايات كانت الغاية الرئيسية هو العمل على ربط الولايات العراقية الثلاث بعضها مع البعض الآخر وتقوية السلطة المركزية عليها ، وبذل مدحت باشا جهوداً كبرى في تحديث العراق وإصلاح أوضاعه مما شكل القاعدة التي تمت عليها منجزات وتغيرات أخرى كان لها نتائج بعيدة المدى في تطوير حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وكان من أهم إصلاحات مدحت باشا هي :-

اولاً _ نظام الطابو وتوطين العشائر:

كانت باكورة أعماله إصدار نظام الطابو ميري (التسجيل العقاري) وغرضه تسجيل العقارات وإصدار الوثائق الخاصة بها من جهة وإيجاد حل لمشكلة العشائر وإنهاء حركات تمردها بتوطينها على الأرض من جهة الثانية وذلك بتوزيع الأراضي الأميرية قطعاً مختلفة وتوفير مياة للري لها وسندات الطابو لقاء دفع مبالغ بسيطة (المعجل) وتقسيط المتبقي ، وبذلك يمكن تحويل الولاء للعشيرة إلى الأرض ، وفي الوقت نفسه عمد إلى معالجة مشكلة ملكية الأرض لربطهم بها وتشجيعهم على الاستقرار والتحول إلى الزراعة، وبذلك حولت شيوخ العشائر إلى ملاكي كبار للاراضي الزراعية ترتبط مصالحهم بالحكومة ومن أبرز الأمثلة على ذلك شيوخ (المحيسن و عنزة و الديلم و شمر جربة وعشائرالجاف الكردية) ، كما شكلت لجنة لتسوية الأرض اقتصر عملها على منطقة الفرات الأوسط والبصرة وعلى الرغم مما اعتور المشروع من أخطاء نتيجة لقلة الإداريين النزيهين وانعدام الخرائط والفنيين ، فإنه كان أول خطوة جدية نحو إرساء القواعد تنظيم الملكية العقارية وتسجيلها في العراق .

ثانياً _ التنظيم الإداري للبلاد : استند مدحت إلى قانون الولايات العثماني الصادر عام ١٨٦٤ لتنظيم إدارة البلاد فعرف العراق لأول مرة في العصر الحديث تنظيماً محكماً ارتبطت بواسطته انحاء العراق كافة بمراكز إدارية رئيسية تدعى النواحي ، التي ترتبط بدورها بمراكز أعلى هي الاقضية ، التي ترتبط بالسناجق (الالوية) التي تشكل تنظيمات أوسع هي الولايات ، فأرسى بذلك دعائم الإدارة الحديثة الأولى في العراق، فإن الإجراءات الإدارية الجديدة كانت كفيلة بخلق إدارة مركزية منظمة يكون مركزها بغداد وتتولى الاشراف على شؤون القطر بأجمعه ، كما تقرر تشكيل مجالس محلية شبة منتخبة في كل وحدة إدارية و مجالس بلدية في كل مدينة فكان ذلك اول انشاء لنظام

البلـديات فـي تـاريخ العـراق الحـديث ، وقـد بقيـت هـذه المجـالس تمـارس اعمالهـا وخاصـة مجلـس ولايـة بغـداد حتـى الاحـتلال البريطـاني وفيمـا بعـد اصـبح هـذا المجلس نواة لما عرف بمجلس الوزراء العراقي .

ثالثاً _ الإصلاح والتنظيم العسكري للبلاد:

وجـه مـدحت باشـا اهتمامـه لإصـلاح النظـام العسـكري ولاسـيما أن بغـداد كانـت مقـراً للفيلـق الجـيش العثمـاني السـادس(التنجـي اورد وهمـايوني) واسـتهدف ادخـال العـراقيين بـدلاً مـن العناصـر الأجنبيـة لضـمان ولاءالسـكان للجـيش المـرابط علـى أراضـيهم، وتعويضـاً للـنقص فـي عـدد الجنـود الأجانـب الـذين لا يمكثـون إلا مـدة قصـيرة بعـدها يسـرعون بـالعودة الـى بلادهـم ، ولهـذا الغايـة طبـق مـدحت باشـا نظـام التجنيـد الإلزامـي، وحالفـه النجـاح فـي عـدد مـن المـدن العراقيـة ولكنـه واجـه الإخفـاق فـي منطقـة الفـرات الأوسـط بسـب رفـض العشـائر لـه ،ممـا أدى إلـى نشـوب تمـرد واسـع عـرف ب(واقعـة الـدغارة)التـي اسـتمرت قرابـة شـهرين وكانـت حصـيلة الاشـتباكات المسـلحة بـين الجـيش الحكـومي ورجـال العشـائر الألـف الضـحايا قبـل أن يقضـي الجـيش علـى حركـة القبائـل. كمـا تمكـن مـدحت باشـا مـن سـحق تمـرد آخـر قامـت بـه عشـيرة شـمر الجربـة واعـدم شـيخها عبـد الكـريم فـي الموصـل ،وببعـد نظـر منـه تـم إقـرار فرمـان، أخـي الشـيخ المعـدوم شـيخاً للمشـايخ، وقـد تحـالف هـذا مـع الحكومـة وأصـبح يتقاضـى راتبـاً منهـا، وهكـذا تأسـس نظـام التجنيـد وفـي خـلال ثـلاث سـنوات تضـاعف عـدد أفـراد الجـيش وصـار مؤلفـاً مـن:(١٦ كتيبـة مشـاة و كتيبتـين مـن الخيالـة وكتيبـة مـن المدفعيـة) يبلـغ عـدد افرادهـا نحـو ١٢،٠٠٠ فـرد، كمـا اسـس مـدحت باشـا مدرسـتين عسـكريتين الأولـى مدرسـة رشـدية فـي بغـداد وأخـرى فـي كركـوك ، وكانـت طليعـة المعاهـد الحديثـة فـي الـبلاد واتبـع ذلـك تأسـيس إعداديـة عسـكرية تؤهـل المتخـرج منهـا للدراسـة فـي الكليـة

العسكرية فى اسطنبول ، كما اولت الحكومه خدمات الجيش الأخرى عنايه خاصة فتم إنشاء معمل للنسيج لانتاج البزات الرسمية للجند والخيام و وعدة معامل للطحين و لصناعة البارود ، كما ألغى تنظيمات(باشي بوزوق) واحل محلها الضبطية لحمايه الأمن الداخلي و مع مرور الوقت حلت الشرطة والجندرمة محل الضبطية فاصبح جهاز الشرطة مسؤولا عن الأمن الداخلي وعهد الى الجندرمة (الدرك) حفظ الامن غي في خارج المدن والأرياف، كما وضع خطة عسكرية للدفاع عن العراق ضد تعديات والأخطار الإيرانية، ومن الاصلاحات مدحت باشا في المجال العسكري إنشاء دار الصناعة البحرية(الترسانة) .

رابعاً _ المواصلات :

اعاد مدحت باشا تشكيل الشركة الحكومية المسماة (الإدارة العثمانية النهرية) واصلح بواخرها القديمة وتم شراء بواخر الجديدة ذات حمولات كبيرة، إذ أصبحت عددها ثمان بواخر التابعة للإدارة العثمانية، كما تم انشاء خط (ترامواي) بغداد _الكاظمية من شركة حكومية اهلية عام ١٨٧١، فكان ذلك عاملاً مهما في نمو التجارة الداخلية والخارجية للعراق.

خامساً _ النظام القضائي

تم الأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية والقضائية وانشىء ديوان التمييز للنظر في الدعاوي القانونية المستأنفة.

سادساً _ التعليم والحركة الثقافية والعمرانية .

في عهد الوالي مدحت باشا ادخل التعليم الرسمي الحديث إلى العراق وأنشأت المدارس الحديثة : المدرسة الرشدية الملكية (المدنية) و مدرسة الصناعة

بتخصصات متنوعة ومع ازياد عدد المدارس في السنوات اللاحقةحتى بلغت زهاء مائه مدرسة الإبتدائية والمتوسطة ارتفعت نسبة المتعلمين من السكان حتى أصبحت نسبتهم عام ١٩٠٠ تتراوح بين الخمسة والعشرة بالمائة، وقبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤_ ١٩١٨) بلغ عدد المدارس في أنحاء العراق ١٦٠ مدرسة ابتدائية منها ١٣ مدرسة للبنات و١٢ مدرسة إعدادية وكما إنشاء غرفة تجارة بغداد في ٥/ نيسان ١٨٨٤ وفتح المصارف و نظام الجندية وإنشاء خطوط التلغراف بين الموصل وسنجارو العمادية وهنا نجد استمرار حركة الإصلاحات العثمانية بعد ولاية مدحت باشا للعراق

ومن بين أهم الامور التي اهتم بها مدحت باشا الطباعة و الصحافة فقد أسس مطبعة حكومية باسم (مطبعة الولاية) واصدر أول جريدة في العراق حملت اسم (الزوراء) في ١٥/ حزيران ١٨٦٩ تصدر مرتين في الاسبوع باللغتين العربية والتركية استطاعت خلالها أن تقدم خدمة جليلة للثقافة والمجتمع فكانت بحق مرآة للادب الثقافي والأدبي للبلاد.

سابعاً _ الحركة العمرانية

في عهد مدحت باشا تم بناء مدينتي الناصرية ١٨٧٠ و الرمادي ١٨٧٢ ومن اعماله بناء المستشفيات منها المستشفى العسكري فضلا عن ذلك شيد مدحت باشا دور حديثة للحكومة ومزرعة نموذجية وارسل المهندسين لتنظيم الري واظهر اهتماماً باصلاح نظم الضرائب الزراعية كما اسس مصفاة للنفط في بعقوبة 1871ومعملا لإصلاح السفن في البصرة **1872**

هـذه مـن الناحيـة الداخليـة للاصـلاحات مـدحت باشـا بالاضـافة إلـى التوسـعات الخارجيـة اذ بـدأ ولايتـة علـى العـراق بالتوسـع مجـدداً فـي الخلـيج العربـي وذلـك للاسباب الاتية:-

١_ الصـراع علـى السـلطة فـي نجـد بـين امـراء ال سـعود ابنـاء فيصـل بـن تركـي وهما عبدالله وسعود ، واستنجد عبدالله بوالي بغداد لاعادتة الى العرش

٢_ عمـل مـدحت باشـا منـذ تولايـة لبغـداد علـى تبنـي فكـرة التوسـع فـي الأقطـار الآسـيوية لكـي تعـوض الدولـة العثمانيـة مـا خسـرتة فـي البلقـان ، لـذا أخـذ مـدحت باشـا علـى عاتقـة مـد السـيطرة العثمانيـة علـى الخلـيج العربـي لكـل يحـل النفـوذ العثماني المباشر محل السعوديين في حكم الاحساء ونجد.

٣_ تعد الدولة العثمانية نجد وملحقاتها كالحجازواليمن وعسير جزء منها

٤_ افتتـاح قنـاة السـويس ١٨٦٩ وربـط البحـر الأبـيض المتوسـط بـالبحر الأحمـر لـذا أخـذت الدولـة العثمانيـة تعمـل علـى مـد نفوذهـا علـى كـل مـن الـيمن وعسـير المطلة على البحر الأحمر لتربط نفسها بالتجارة العالمية.

لـذا قـام مـدحت باشـا عـام ١٨٧٠ بـاحتلال الاحسـاء و احتـل أيضـا قطـر عـام ١٨٧١ وعـين قاسـم بـن ثـاني قائمقـام عليهـا ، كمـا اتفـق مـدحت الباشـا مـع عبـدالله شـيخ الكويـت علـى جعـل الكويـت قائمقاميـة عثمانيـة تابعـة لولايـة البصـرة وقـد وافـق شيوخ الكويت على ذلك للأسباب الآتية:-

١_ أن شـيوخ الكويـت كـانوا لا يرغبـون فـي الانفصـال عـن الرابطـة الإسـلامية التي جسدتها الدولة العثمانية.

٢ـ أن شيوخ الكويت كانوا يملكون الأراضي في البصرة وكان العثمانيون يهددون بقطع ايرادتها عندما تتعارض سياسة شيوخ الكويت مع سياستهم

٣ـ أن الكويت تخشى معارضة الدولة العثمانية لأنها لم تكن آنذاك مرتبطة مع أي من الدول الكبرى بمعاهدة أخرى.

وبالرغم من ذلك ظلت الكويت تابعة للعثمانيين الى عام ١٨٩٩ عندما وقع الشيخ مبارك معاهدة حماية مع بريطانيا.

استقال مدحت باشا من منصبه احتجاجاً على قرار أصدره الصدر الاعظم محمود نديم باشا بخصم مبلغ كبير من مصروفات ولاية بغداد وتحويله الى العاصمة وقبلت استقالته وغادر بغداد في ٢٧/ مايس ١٨٧٢ استمرت ثلاث سنوات للعراق الا انها كانت من أهم مراحل العهد العثماني.

اربعة عشر / الاوضاع العامة في العراق في نهاية العهد العثماني

يمثل الجانب الاقتصادي جانبا مهما من جوانب تاريخ العراق الحديث والاقتصاد هو المحرك الاساسي للسياسة فلا يمكن ان يتحرر البلد سياسيا اذا لم يكن مستقلا استقلالا اقتصاديا ولا يمكن ان يكون البلد ذو قوة عسكرية تحمي حدوده اذا لم تتوفر فيه معالم القوة الاقتصادية ، وللاقتصاد العراقي مجالات متعددة اهمها الزراعة والصناعة والتجارة والموارد المعدنية والنفطية ، والعراق بلد زراعي من الدرجة الاولى لوجود نهري دجلة والفرات والتربة الخصبة والايدي العاملة .

السكان : بلغ عدد سكان العراق في اواسط القرن التاسع عشر ما يقارب مليون وربع المليون موزعين بين البادية والقرى والارياف والمدن وكل حسب مهنته و مصدر معيشته .

ومن اهم مرتكزات الحياة الاقتصادية في العراق :

الزراعة : الزراعة هي الركيزة الاساسية للاقتصاد العراقي لكنها لم تكن بالمستوى المطلوب و لم تلق الدعم والتأييد من قبل الدولة العثمانية الا في عهد مدحت باشا عن طريق نظام الطابو والاستصلاح الزراعي فالمشاكل التي كانت تواجه الزراعة العراقية كثيرة كعدم اهتمام الدولة العثمانية بالجانب الزراعي ثم سيطرة ملاك الاراضي على الفلاحين اي الاقطاع ثم بدائية الاساليب المتبعة بالزراعة وتعرضها لخطر الفيضانات والآفات الزراعية وقلة المبيدات والبذور المحسنة وعدم بناء السدود الترابية لذلك لم تكن بالمستوى المطلوب ومن اهم المحاصيل الزراعية في العراق القمح والشعير والرز والقطن والذرة والتمور، وكذلك شكلت تربية الحيوانات موردا مهما للاقتصاد العراقي ومعيشة الناس كتربية الاغنام والابقار والماعز والجاموس والخيول والدجاج والطيور .

الصناعة : ارتبطت الصناعة في العراق في اواخر القرن التاسع عشر بالنظام الحرفي القديم واهم الصناعات العراقية (النسيج القطني والصوفي وصناعة الاواني الفخارية والنحاسية والعدد اليدوية التي تستخدم في الزراعة وتعد الموصل وبغداد والنجف وكربلاء من اهم مراكز الصناعة , بقيت الصناعة العراقية تسير وفق خطط قديمة وقاصرة عن منافسة البضاعة الاجنبية وقد سيطرت بريطانيا على الاقتصاد العراقي .

التجارة : التجارة العراقية على نوعين داخلية وخارجية كذلك ارتبطت بالشركات التجارية البريطانية في العراق التي سيطرت على حركة الاستيراد والتصدير ومن اشهر البيوتات التجارية في العراق (بيت الباجة جي ، بيت الاعرجي ، بيت الخاصيكي ، بيت ابو التمن ، بيت دله ، بيت كبه ، بيت عارف اغا ....) اما الاسواق فهي سوق البزازين وسوق القصابين وسوق سراي واسواق حنون وغيرها وكانت بغداد والموصل والبصرة من اهم المراكز التجارية في العراق .

الضرائب : مثل ضريبة الملح وضريبة العشر وضريبة الماشية وضريبة العقار وبدل الخدمة العسكرية .

العملات : تعددت العملات الاجنبية في الاسواق العراقية كالعملة الهندية الروبية والعملة الايرانية التومان والليرة الانكليزية والدولار الامريكي والاسباني والجنيه والقرش .

واخيرا يمكن القول ان من اهم مظاهر الاقتصاد العراقي خلال العهد العثماني الاخير :

1- تدني مستوى الاقتصاد العراقي وانخفاض معدلات الانتاج الزراعي .
2- ارتباط السوق العراقية برأس المال والسوق الاجنبية .
3- هيمنة بريطانيا على الاقتصاد العراقي .
4- ظهور نشاط الصيارفة اليهود والايرانيين في بغداد .
ظهور الامتيازات الاجنبية في العراق .

خمسة عشر / الحياة الفكرية في العراق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

الفكر معناه التفكر في الشيء بهدف الوصول الى معرفة حقيقية او ظنية ، ويعني النظريات والآراء التي يعتمدها العقل الانساني في تحديده لموقف معين ، ومصطلح الحركة الفكرية تعبير يطلق على معتقدات الناس الفكرية او ما يقوم بها الشعب من جهود لتحرير نفسه من الاستعمار والاستغلال والفقر والجهل والظلم ، والفكر على عدة انواع : منه ما يكون فكراً دينياً او يكون سياسياً او اقتصادياً او اجتماعياً لذلك يسمى الفكر الديني والفكر السياسي والفكر الاقتصادي والفكر الاجتماعي .

ويعد العراق في مقدمة الاقطار العربية التي شهدت نهضة فكرية وعلمية كبيرة في اوآخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وهذه النهضة لم تكن من فراغ بل كانت وليدة لمجموعة من العوامل أهمها :

1-لم يكن العراق بمعزل عن الاقطار العربية الاخرى من حيث التطور الفكري فوجود الطباعة في اقطار الوطن العربي كمصر وبلاد الشام والتي اسهمت في ايصال الكتب والمطبوعات الى القراء العراقيين بيسر وسهولة لم يسبق لها مثيل مما ساعد على بلورة الافكار والمفاهيم والثقافة .

2-كما اسهمت الصحافة العربية التي شهدت انتشارا كبيرا خلال تلك الفترة على اطلاع القراء العراقيين على المقالات الادبية والفكرية لمفكرين بارزين امثال الطهطاوي والكواكبي ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم مما ساعد العراقيين على الاسهام الفعال بالعمل الفكري وتطوير الفكر القومي .

3-حركة الصحافة والحركة الادبية في داخل العراق التي حمل لوائها معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي واحمد الشاوي وعبد المحسن الكاظمي وغيرهم من الادباء والمفكرين الذين حضروا المؤتمر العربي الاول في باريس سنة 1913 الذي ترأسه عبد الحميد الزهاوي ومعه ما يقارب 250 ممثلا من الاقطار العربية مما اسهموا في تأسيس وانشاء المجالس الفكرية في العراق لمناقشة القضايا العامة والمواقف المختلفة .

1-دور الطلبة والمثقفين العراقيين الذين اكملوا دراستهم واعمالهم في العاصمة العثمانية ثم انتمائهم لجمعيات وتنظيمات فكرية فبعد عودتهم الى العراق اسهموا في رفد الحركة الفكرية العراقية من خلال فتح جمعيات ومنديات منها (مجلس المبعوثان ، الجمعية المحمدية 1908 ، الحزب الحر ، وجمعية البصرة الاصلاحية ، النادي الوطني العلمي1913 ، وكذلك جمعية العهد 1913 ، جمعية العلم السرية 1914 التي ضمت مجموعة كبيرة من الشخصيات القومية والثورية) وقد انتمى الى هذه الجمعيات والمنتديات عدد من الضباط والطلبة العراقيين امثال نوري سعيد وياسين الهاشمي وجميل المدفعي وطالب النقيب وعلي جودت الايوبي وغيرهم ونتيجة لذلك ازدهرت الحياة الفكرية في العراق من خلال تطور الصحافة والطباعة والتأليف والترجمة وارسال البعثات الى الخارج وفتح مكتبات وجمعيات ومنتديات ادبية وفكرية وغيرها من الامور التي اسهمت في تطور الحركة الفكرية في العراق في بدايات القرن العشرين .